



كلية التربية
المجلة التربوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج.

إعداد

د/ مصطفى أحمد شحاتة أحمد

مدرس أصول التربية - كلية التربية - جامعة المنيا

المجلة التربوية. العدد الرابع والستون - أغسطس ٢٠١٩م

Print:(ISSN 1687-2649) Online:(ISSN 2536-9091)

مستخلص البحث

هدف البحث إلى تحديد أبعاد الوعي بالهوية ، وتحديد مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج.

وتحقيقاً لأهداف هذا البحث، تم استخدام المنهج الوصفي، كما قام الباحث بإعداد مقياس الوعي بالهوية الثقافية ، وبعد التأكد من خصائصه السيكومترية (الصدق - الثبات)، تم تطبيقه على عينة بلغ عددها (٨١) باحثاً مبتعثاً من الجامعات المصرية للدراسة بالخارج، وبعد تحليل البيانات التي تم الحصول عليها من تطبيق أداة البحث، ومعالجتها إحصائياً، تم التوصل إلى النتائج الآتية:

١- إن مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات الخارجية لم يصل إلى المستوى المقبول الذي تم اتخاذه معياراً في هذا البحث (٧٥%) فأعلى، وهو ما يساوي المتوسط (٣,٧٥) فأعلى، حيث كان المتوسط العام (٣,٥٦) والنسبة المئوية (٠,٧١) % .

٢- إن ثمة (٢٣) مفردة من أصل (٤٦) مفردة في أداة هذا البحث، قد جاءت أعلى من المتوسط المقبول (٣,٧٥). وتشكل هذه المفردات ٥٠% من مجموع مفردات أداة البحث، وهذا يشير إلى أن ثمة تغييراً في الهوية الثقافية لدى طلاب البعثات العلمية.

٣- إن كل أبعاد الوعي بالهوية الثقافية (الدين - اللغة - القيم والعادات الاجتماعية) حصلت على قيمة متوسط أقل من ٣,٧٥ المناظرة للنسبة المقبولة (٧٥%)، وهذا يدل على أن مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات العلمية متوسطاً.

٤- وفيما يتعلق بالمقارنة بين أبعاد الوعي بالهوية الثقافية، يتبين أن بُعد الدين جاء في المرتبة الأولى بمتوسط (٣,٦٣)، يليه بعد القيم والعادات بمتوسط (٣,٥٤)، ثم جاء بُعد اللغة في المرتبة الأخيرة بمتوسط (٣,٥١)، ومن هذه المقارنة لا توجد فجوة كبيرة في مستوى الوعي بين الأبعاد الثلاثة لدى عينة البحث.

وفي ضوء هذه النتائج تم التوصل إلى بعض الآليات لتنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى الطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج.

Abstract

Developing the cultural identity awareness of the Egyptian external full mission scholarships holders

By Dr. Mustafa Ahmed Shehata Ahmed

Lecturer of Foundations of education, Faculty of Education, Minia University

This study aimed at identifying the dimensions and level of the cultural identity of the Egyptian external full mission scholarships holders. Descriptive method was adopted to attain the aim of this study. Scale of cultural identity awareness was developed by the present researcher. After ensuring the validity and reliability of the scale, it was administered on 81 scholarship holders.

Results indicated that the level of of the cultural identity awareness did not reach the acceptable level 75% which equals the mean score 3.75 because the overall mean score was 3.56 and the percentage was 71%.

The means of 23 items out of 46 items were higher than the mean score. Those items represent 50% of the scale indicating that there is a change in the cultural identity of the sample.

All dimensions of the cultural identity (religion, language, values and social habits) got means that were lower than the criterion (3.75) referring that the level of the cultural identity awareness was medium.

Regarding the comparison between the dimensions of the cultural identity, religion came at the first rank (3.63), values and social habits occupied the second rank (3.54) while language came at the third rank (3.51) indicating that there was little gab between the three dimensions.

In the light of the given results, some techniques for developing cultural identity were reached.

مقدمة البحث

تمثل قضية الهوية إحدى القضايا المحورية، خاصة في القرن الحادي والعشرين الذي يتسم بالتغيرات والتحولات المجتمعية الكبرى، وما نتج عنها من الهجوم على الثوابت والرموز، وقد أثرت هذه التحولات على وعي الأفراد واتجاهاتهم وقيمهم وسلوكياتهم؛ مما أوجد نوعاً من أنواع الهزيمة النفسية التي تعوق التقدم.

وإذا كان وعي الإنسان المعاصر بكافة مجالات الحياة العصرية ضرورة، فثمة عوامل اجتماعية وسياسية متعددة تحتم تنمية الوعي بالهوية لدى جميع أفراد المجتمع، وذلك لأن كل جماعة أو أمة بحاجة إلى هوية متميزة تمكنها من البقاء والمحافظة على وجودها، فالهوية هي التي تحفظ سياق الشخصية، ودونها يتحول الإنسان إلى كائن تافه، وفارغ، وغافل، وتابع، ومقلد؛ لأن الهوية لها علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلّماته الفكرية، وبالتالي تحديد سمات شخصيته؛ فتجعله إنساناً ذا قيمة، وتجعل لحياته معنى وغاية (باريك، ٢٠١٣، ٩). فضلاً عن أن الوعي بالهوية له مردود إيجابي في تحقيق الذات والثقة بالنفس، ويُحفز على الازدهار والتقدم، ويعد نظاماً قيمياً حاكماً للمجتمع (عبد القادر، ٢٠١٣، ٢٤-٢٩).

ويشير أبو زيد (٢٠١٢، ٥) إلى "أن قضية الهوية الثقافية تعد من أكثر القضايا إثارة للقلق والجدل في معظم مجتمعات العالم؛ نظراً لما تتعرض له الثقافات المختلفة من عوامل التأثير والتغيير والتبديل، بل ومسح الملامح الأساسية المميزة لها". وربما يرجع ذلك إلى عدة اعتبارات، أولها: انفراد الولايات المتحدة بالنظام العالمي، حيث إنه بعد انهيار الكتلة الشيوعية في أواخر الثمانينيات، وبعد أن أمسى نظام الحرب الباردة في ذمة التاريخ، وفي ظل عمليات أمركة العالم تسعى الشعوب والأمم جاهدة للإجابة عن تساؤل محوري: مَنْ نحن؟ لمن ننتمي؟ من هو الآخر؟ (الجزار، ٢٠١١، ٢٣)، وثانيها: تأثير العولمة على الهوية، وقد تفاوتت الآراء بين التهوين من شأن العولمة أو الغلو في وصف تأثيرها ومخاطرها، ثمة من يرى أنه بفعل تداعيات العولمة تتعرض ثوابت هويتنا للزعزعة والتفكيك، وتحاول القوى المهيمنة الحفاظ على هويتها، وتدويب الهويات الأخرى وطمسها وصهرها في دائرة العالمية، وإزالتها من الوجود (حلمي، ٢٠٠١، ٨٠).

وتمثل العولمة تحديًا أمام الهويات في المجتمعات المختلفة، باعتبارها تعمم الاتجاه الواحد للثقافة وتسلب التنوع الثقافي حيث فتحت العولمة قضايا الهوية على نطاق عالمي واسع، وأخذ الحديث يقترن بصورة متلازمة تقريبًا بين العولمة والهوية، والاصطدام والتعارض بينهما. وما يتهدهدها من مخاطر الإلغاء والإقصاء، أو الذوبان والانصهار، أو الافتراض الثالث هو الانبعاث والاستنهاض (الميلاد، ١٩٩٩، ٢٩). ويشير (Dasen, 2000) إلى أن من مخاطر العولمة على الهوية الثقافية أن تأثيرها يكون بصورة بارزة على المراهقين والشباب. وتسهم وسائل الإعلام مثل: التلفزيون، والأفلام، والإنترنت في الانتشار السريع والشامل للأفكار عبر الثقافات. وأكد جانسون وآخرون (Jensen et al., 2011, 295- 296) وجود علاقة بين العولمة وارتباك الهوية الثقافية Cultural Identity Confusion ، حيث إن الشباب المراهقين يعانون من التناقض بين القيم التقليدية، والقيم المعولمة؛ مما أثر على سلوكياتهم فانتشرت جرائم الزنا، والدعارة، والإفراط في تعاطي المخدرات، والانتحار.

وجدير بالذكر أن ثقافة العولمة تقابل من قبل الأفراد أو الأمم بثلاث طرائق، وهي: الاستيعاب والاندماج التام في معطيات الثقافة المهيمنة، وهو ما يؤدي إلى التجانس الثقافي، أو التثاقف (التبادل الثقافي) حيث تحتفظ الهوية ببعض صفاتها، والنتيجة نوع من الهجنة أو الهوية المتكيفة للعولمة، أو القطيعة وهي تحدث عندما تحاول هوية ما إثبات أصالتها وخصوصيتها، والنتيجة السوسيوولوجية في هذه الحالة عدم التجانس والتحصن بالخصوصيات الثقافية (عماد، ٢٠١٧، ١٨). أي أنه - كما يرى جيكرسترا وآخرون (Dijkstra et al 2001 p. 60) - من المهم الابتعاد عن الفرضيات القائلة: بأن الثقافة نقية أو صافية في دولة قومية معينة، وكذلك فكرة أن النفوذ الأجنبي يولد خسارة أغلبية السكان هويتهم الثقافية الذاتية، أو تحويلهم إلى هويات ثقافية أخرى.

وفي هذه الآونة المعاصرة ساعد انتشار التكنولوجيا الحديثة على اختراق الحدود الثقافية انطلاقًا من مراكز صناعة وترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي، وألغت إمكانات التثاقف باعتباره خيارًا يعني الانفتاح الطوعي على المنظومات الثقافية المختلفة عبر آليات التأثير والتأثير والتفاعل المتبادل، وفرضت على الشعوب التقليد الأعمى للغرب الذي يعزز قيم الغالب ويؤدي إلى استتباع المغلوب، ومن ثم لم تترك أمام الدول الضعيفة من خيارات خارج حدود الانعزال أو الذوبان، سوى استعادة الوعي بالهوية الثقافية.

ومما لا شك فيه أن التعليم الجامعي أحد أهم عوامل الحفاظ على هوية المجتمعات، فمن خلال التعليم يتشرب النشء الثقافة والقيم والأفكار التي تشكل معالم شخصياتهم وتوجه انتماءاتهم، حيث تنص الوثائق الرسمية والتشريعات على دور التعليم الجامعي في الحفاظ على الهوية الثقافية، حيث ينص قانون تنظيم الجامعات في المادة (١) على "أن الجامعات تختص بكل ما يتعلق بالتعليم الجامعي والبحث العلمي الذي تقوم به كلياتها ومعاهدها في سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضارياً، متوخية في ذلك المساهمة في رقي الفكر وتقديم العلم وتنمية القيم الإنسانية، وتعد الجامعات بذلك معقلاً للفكر الإنساني في أرفع مستوياته، ومصدر الاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وأغلاها وهي الثروة البشرية، وتهتم الجامعات كذلك ببعث الحضارة العربية والتراث التاريخي للشعب المصري وتقاليد الأصيل ومراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والخلقية والوطنية" (قانون تنظيم الجامعات، ٢).

ونظراً لكثافة وخطورة عوامل الاختراق الثقافي التي تتعرض له الهوية العربية سواء أكان من خلال الاحتكاك الحضاري المباشر عن طريق الهجرة أو السياحة أو السفر أو الابتعاث العلمي، أم من خلال الاحتكاك غير المباشر عن طريق وسائل الاتصال والإعلام والتكنولوجيا الحديثة، فإن المؤسسات التربوية والإعلامية المختلفة لا بد أن تعمل على حماية الأمن الثقافي للمجتمع في ظل عالم لن يجدي معه التفوق والعيش في حالة قطيعة مع العالم.

ويعد الابتعاث للخارج رافداً من أهم روافد الاتصال والاحتكاك الحضاري بين الحضارة المصرية والحضارة الغربية، فقد كانت مصر أسبق من غيرها من دول الشرق في إيفاد البعثات العلمية إلى دول أجنبية، حيث بدأ إرسال البعثات التعليمية لأوروبا في عهد محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٩)، وعلى الرغم من أنه حدد مهمة تلك البعثات في نقل التقنية الصناعية الحديثة، وأن تعليماته كانت صارمة للمبعوثين بالانكفاء على تحصيل العلوم فقط؛ فإنه لم يستطع منعهم من التأثير بمجريات الحياة الثقافية في باريس، حيث اكتشفوا عالماً غير العالم الذي نشأوا فيه، وذهبت المقارنات بين العالمين سدى. ومع توالي البعثات التي كان من تداعياتها استيعاب أفرادها للثقافة الغربية والاعتقاد بأنها مفتاح التقدم أن بدأت تنتشر أفكار الاستنارة والعلمانية. ومع حكم الخديو إسماعيل الذي فتح أبواب البلاد للأجانب الذين جاءوا مع مشروع قناة السويس بدأ المجتمع المصري يأخذ طابع الحضارة الأوروبية في جميع مناحي

الحياة، مثل: المأكل والملبس والعمارة وبعض العادات والتقاليد، وبدأ المتعلمون من خريجي المدرسة المدنية ومدارس الإرساليات والقادمون من البعثات يرتدون الزي الأوربي الذي صار عنواناً على طبقة الأفندية، وأكثر من هذا أن سيدات صفوة تلك الطبقة كانت تأخذ اسم عائلة الزوج مثل صفية زغلول وهدي شعراوي وهدي بركات (الدسوقي، ٢٠٠٦، ٥٠). وتوالى بعد ذلك إرسال البعثات العلمية، والتزمت بها الدولة المصرية، وتعد خطة للبعثات سنوياً، بل أصبح الحصول على بعثة علمية بين طلاب الدراسات العليا بالجامعات المصرية مظهرًا من مظاهر التنافس والتميز.

وتجدر الإشارة إلى أن المبتعث للدراسة بخارج وطنه يمر بأربع مراحل من التكيف مع البلد المبتعث إليها، وهي: مرحلة الانبهار عند الوصول إلى البلد المبتعث إليها، والتي تمثل عادة بداية الاتصال الحضاري بين الطالب والحضارة الغربية، وتتميز بمظاهر الاستغراب والانطباعات السريعة التي يشوبها شيء من السعادة والإطراء للمحيط الثقافي الجديد. ومرحلة الصدمة الثقافية وما يصاحبها من قلق ناتج عن فقدان المعايير الاجتماعية التي تعود عليها الطالب وما يرتبط بذلك من مشاعر الحيرة والخوف وعدم الاطمئنان في التعامل مع البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة. ومرحلة التكيف الجزئي، والتي تعد بداية التعامل الفعلي مع البيئة الجديدة وفيها يتم التكيف التدريجي، ويختار فيها الطالب أسلوب التكيف الذي يرغب أن يعيش به في البيئة الجديدة، إما اندماجًا، أو رفضًا، أو تكيفًا راشداً. وأخيرًا مرحلة التكيف النهائي، والتي تتسم بالتميز في شخصية الطالب، وتكوين اتجاهات وميول جديدة، وظهور أبعاد جديدة في شخصيته، نتيجة لطبيعة أسلوب التكيف الذي ارتضاه في المرحلة الثالثة، ونتيجة لتعوده على الحياة الاجتماعية ومسلّماتها الفكرية والسلوكية في حياة الغربية (القعيد، ١٩٩٠، ٢٧٧ - ٢٨٥).

وبناءً على ما سبق، تعد خبرة الابتعاث من أهم الخبرات التي تمر على الطالب في حياته التعليمية، حيث إن جوهر الجانب الثقافي من الابتعاث للدول الغربية يتمثل في الاتصال الحضاري بين الطالب المبتعث بوصفه فردًا من مجتمع له خصوصياته الثقافية، وبين دولة الابتعاث بوصفها مجتمعًا له خصوصيات ثقافية مختلفة، ويتفاوت الأفراد في درجة تفاعلهم مع هذه الخبرة، فمنهم من تحدث له صدمة ثقافية تنقله من حالة الدهشة والانبهار إلى حالة القبول والاستسلام للثقافة الغربية. ونظرًا لتزايد الإيفاد للدول الأوروبية والأمريكية في الآونة

الأخيرة، واهتمام الدولة بإعداد خطة للبعثات سنوياً للحصول على الدرجات العلمية في جميع المجالات العلمية، فضلاً عن رغبة طلاب الدراسات العليا في الدراسة بالخارج؛ بدت الحاجة ملحة إلى ضرورة تناول قضية الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات في الدول الأجنبية.

مشكلة البحث:

إن موضوع الهوية من الموضوعات المهمة التي طُرحت على محك المساءلة والنقاش منذ أن صاغ صمويل هنتيجون نظريته عن صراع الحضارات عام ١٩٩٣، وكان أحد تنبؤاتها أن ثقافات الأمم سوف تذوب في نهاية الأمر في عالمية يسيطر عليها الغرب، ولكنه عاد عام ١٩٩٦ في دراسة له بعنوان "الغرب متفرد وليس عالمياً"، ذكر فيها أن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن أن تدخل داخل النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أية حضارة هي: اللغة، والدين، والقيم، والعادات والتقاليد؛ ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته في مواجهة حضارات العالم (التويجري، ١٩٩٧، ١٦٧).

والمتمعن في الكتابات العالمية الحديثة حول مسألة الهوية، يجد طرحاً مختزلاً لها، ينفي ضرورة وجود هوية لأية أمة من الأمم، بل يتم وصفها بصفات سلبية مثل هويات قاتلة، وربطها بسلوكيات عدوانية مثل: الهوية والعنف. فيزعم صن (٢٠٠٨، ١٧-١٨) أن الهوية تعمل على تصغير الناس بمعنى اختزال هويتهم واقتلاعهم من رحابة التعدد وأفق الحرية والتسامح والمشاركة، وإعادة تصنيفهم وتقسيمهم وتعبئتهم في عبوات صغيرة، وشحنهم بكارهية الآخر والخوف منه، ومن ثم إعدادهم لمواجهة الآخر وإبادته، فالهوية التي تمنح الإنسان الفخر والبهجة والثقة، بوسعها عندما تُشوه أو تُختزل أن تقتل بلا رحمة، فعندما يتم تقسيم أبناء الوطن إلى طوائف، فإن كل طائفة تسعى إلى إلغاء الأخرى أو قهرها.

ومن هنا يتضح أول مظاهر مشكلة هذا البحث هي مشكلة الأنا والآخر، وهذه المشكلة التي زادت حدتها في الوقت الراهن بنتامي الاتجاه الذي يدعو إلى رؤية العالم باعتباره ذا هوية عالمية واحدة، مع تجاهل الهويات الأخرى. تلك الهوية المهجنة التي تفرضها الدول الغالبة التي تحاول طمس ملامح خصوصيات باقي الدول، فهم - على ما يبدو - يريدون لنا بعولمتهم تلك أن نكون عالميين بلا مكان وبلا تاريخ.

وتتضح ثاني مظاهر مشكلة هذا البحث، من خلال إحساس الباحث بتأثر بعض زملائه بجامعة المنيا العائدين من البعثات الخارجية بثقافة البلد المبعوث إليها، وللتثبت من ذلك؛ تم إجراء مقابلات مع بعض العائدين من البعثات الخارجية بلغ عددهم (١١) أحد عشر مبتعثاً ببعض كليات جامعة المنيا (الطب والهندسة والعلوم والتربية والآداب والزراعة)، وقد تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- انتقاد العائدين من البعثات الخارجية لثقافة المجتمع المصري السائدة وتمردهم عليها.
- التغيير القيمي لدى المبتعثين وتأثر سلوكهم بالسلوكيات السائدة بدولة الابتعاث، قد جاء هذا التأثير إيجابياً ببعض القيم، لعل من أبرزها: تقدير قيمة العلم، وقيمة الحرية، وقيمة الوعي الصحي، وقيمة النظام. فضلاً عن تأثرهم السلبي ورجوعهم ملوثين ببعض الأفكار والتشبه بخصال وسلوكيات أفراد الدول المبتعثين إليها مثل: النظرة النفعية والمادية، وعزوف بعضهم عن الزواج، ورغبتهم في العودة مرة أخرى لدولة الابتعاث؛ مما أدى إلى شكواهم من ضعف تكيفهم مع أفراد مجتمعهم الأم وزملائهم بالعمل.

وتعد الدراسات السابقة هي المصدر الأخير من مصادر الإحساس بمشكلة هذا البحث، فقد تباينت الآراء منذ بدء الأخذ بفكرة البعثات العلمية وآثارها المختلفة، فهذا الراجعي (١٩٨٩، ٤٥٢) يصف محمد علي بالعبرية لإدراكه ضرورة إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، إذ يقول: "لو تأملت ملياً في العصر الذي نشأت فيه هذه الفكرة واختلجت في نفس محمد علي، لعجبت لعبقريته، كيف أنبتت هذا المشروع، ففي ذلك الوقت لم يفكر حاكم شرقي ولا حكومة شرقية في إيفاد مثل هذه البعثات، وهذه تركيا وسلطانها كان يملك من الحول والسلطة أكثر مما يملك محمد علي، ولم تفكر حينذاك أصلاً في إيفاد البعثات المدرسية إلى المعاهد الأوربية، فصدور هذه الفكرة، في ذلك العصر، وفي الوقت الذي كان محمد علي مشغولاً فيه بمختلف الحروب والمشاريع والهواجس، يدل حقيقة على عبقرية نادرة وهمة عالية".

وينحو عبد الكريم(د.ت ، ٦٩٥) نفس هذا المنحى، حيث يرى أنه على الرغم من وجوه النقد التي وجهت ضد الأسلوب الذي طبق به نظام البعثات العلمية، فقد أمدَّ مصر بطائفة جليلة من الرجال الذين أعانوها في مختلف نواحي النهضة: الفكرية والصحية والتعليمية والإدارية والاقتصادية. وقد وثق نظام البعثات العلمية أواصر اتصال مصر بالحضارة

الغربية وقوى من أسبابه، حتى أصبح هذا الاتصال من المظاهر البارزة في أحداث القرن التاسع عشر، ولا يزال من المظاهرة البارزة حتى يومنا هذا.

بينما يقرر شاكر (٢٠٠٩، ٢٠٠٩) أن 'فكرة البعثات العلمية كانت نابعة من عقول تخطط وتدبر لأهداف بعيدة المدى، استغلت ما في نفسه من المطامع، وحبه للسيطرة، أحاطت به القناصل وهي تراقب أهواءه ومطامعه، فجعلت تغذيها وتزيدها توهجاً، لتجعله قوة في قلب دار الإسلام".

كما جاءت نتائج الدراسات الحديثة مؤكدة للاختلافات حول جدوى الابتعاث للدراسة بالخارج، وحول آثاره الإيجابية والسلبية على الطلاب المبتعثين وعلى المجتمع ككل؛ وحول الآثار الإيجابية فتجدر الإشارة إلى ما جاء في الدراسة التي قدمت إلى رئيس قطاع الشؤون الثقافية والبعثات حيث ورد فيها: "مما لا شك فيه أن الابتعاث للدراسة بالخارج ظاهرة حضارية، حيث إن له جوانبه الإيجابية، وهي الانفتاح والتفاعل مع البلدان الأخرى، كما أنها تسهم في إعداد كثير من الكفاءات المصرية وتدريبهم على المزيد من العلم والخبرة للاستفادة من دراسته في خدمة خطط التنمية" (عمارة، ٢٠١٠، ١٣-١٤). وقامت البعثات بوظيفة عظيمة تمثلت في نقل ثقافة الغرب إلى مصر، فهي وسيلة من وسائل نقل الشرق من مرحلة التخلف والجمود الذي ران عليها فترة ليست بالقصيرة إلى الحياة الحديثة بنقل الأفكار والعلوم التي أسهمت في تقدم الغرب حضارياً وثقافياً (عبد الرزاق، ١٩٩٥، ١٦١).

وعلى الرغم من تأكيد كثير من الدراسات على أهمية الجانب التعليمي (الأكاديمي والمهني) والتنموي للبعثات العلمية، فإن بعض هذه الدراسات قد أبرز جانباً سلبياً يتمثل في الجانب الثقافي (الاجتماعي والنفسي) وتأثيراته على قيم المبتعثين وسلوكهم. حيث إنهم يخضعون للتقاليد الجامعية، وكذلك يكونون جزءاً من الحياة الاجتماعية الغربية يتعرضون لمسلّماتها الثقافية وأنماط سلوكها وعاداتها وتقاليدها، ويحتكون احتكاكاً مباشراً مع هذه الحياة فيتأثرون ويؤثرون. وثمة عدة دراسات عربية تناولت تأثير العائدين من البعثات الخارجية بثقافة البلد المبتعث إليها، فقد توصلت دراسة ناصر (١٩٨١) إلى تأثير حملة شهادة الدكتوراه من الأردنيين العائدين من الابتعاث بالدول الأوروبية والأمريكية بثقافة هذه الدول من حيث بعض الجوانب الفكرية والاجتماعية والثقافية؛ مما انعكس على سلوكهم الشخصي، ومطالبهم وحاجاتهم، وتبين أن ٨٦% منهم يرون أنهم تغيروا عن زملائهم في

بلدهم في نواح مختلفة، فأصبحوا أكثر تحرراً واحتراماً للعمل، وفهمًا للعالم الخارجي ومعرفة لأُمور الحياة.

وكذلك توصلت دراسة الحربي (٢٠١٣ ، ٤٤٩) إلى أن التزام الطلاب السعوديين العائدين من الابتعاث الخارجي بمنظومة القيم بشكل عام في حدود المتوسط، فقد جاء التزام الطلاب العائدين من الابتعاث بالقيم الدينية في المرتبة الأولى، يليها التزامهم بالقيم الاقتصادية، ثم جاء التزامهم بالقيم النظرية في المرتبة الثالثة، وجاءت القيم الاجتماعية في المرتبة الرابعة، وجاءت القيم السياسية في المرتبة الخامسة، ثم جاءت القيم الجمالية في المرتبة الأخيرة. وفي السياق ذاته، أكدت دراسة الحسون (٢٠١٥) تأثر الطلبة بثقافة البلد الذي درسوا فيه، فالثقافة الأجنبية زودت المبتعث بعادات أسهمت بميل الأزواج المبتعثين نحو المشاركة مع زوجاتهم، كما أن الثقافة الأجنبية غيرت بعض عادات المبتعثين التي تمنح الأزواج مشاركة زوجاتهم في المهام والمسؤوليات الخاصة.

ولا شك أن ظاهرة امتناع المبعوثين عن العودة إلى الوطن ترتبط بظاهرة هجرة العقول من الشرق إلى الغرب، وهذا ما أكدته دراسة أحمد (٢٠١٥) حيث توصلت إلى أنه من الدلائل السالبة للبعثات العلمية هي انبهار معظم الكفاءات التي حصلت على فرص للدراسة بالخارج بالإمكانات العلمية والمادية للدول الجاذبة للكفاءات؛ مما أدى إلى استقرارهم بالخارج وعدم العودة مرة أخرى. وجدير بالذكر أن الكفاءات تضمنت أصحاب المؤهلات العليا سواء كانوا أطباء أو مهندسين أو ممن تمكنوا من الحصول على مؤهلات أعلى من الماجستير والدكتوراه في تخصصات مختلفة، وأساتذة الجامعات وأخيراً العلماء الذين برعوا في تخصصات مختلفة في أنحاء دول العالم.

وجاءت نتائج بعض الدراسات مناقضة لما توصلت إليه الدراسات التي تمت الإشارة إليها، فقد جاءت دراسة العتيبي (٢٠١١) عن اتجاهات الطلاب السعوديين الدارسين في الخارج نحو أثر الابتعاث في أمنهم الثقافي، من حيث المعتقد الديني، والقيم والأخلاق، والعادات والتقاليد، واللغة، وأكدت نتائجها أن ما يحدث بين الطلاب السعوديين المبتعثين للدراسة في الخارج ومجتمع بلد الدراسة هي عملية تتأقّف أو متأقفة حيث يستطيع المبتعث أخذ ما يوافق ثقافته العربية والإسلامية مع اكتساب ما يثري هذه الثقافة من علوم ومعارف، وليست عملية تناقل ثقافي، والتي تعتمد على فرض ثقافة معينة مع انتزاع الثقافة السابقة.

على ضوء المصادر الثلاثة التي تمت الإشارة إليها، تتبلور مشكلة هذا البحث في النقاط التالية:

- إن ثمة محاولات لمسح الهوية الثقافية للدول النامية، ومنها مصر، حيث تحاول الدول العظمى بفعل العولمة تذويب الهويات وتفكيكها، بل سحق سائر مقومات تفرد الهويات والثقافات، وذلك من خلال غسل المخ البشري من الموروثات القديمة التي هي الدين، والقيم، واللغات، وفرض هوية عالمية واحدة تستهدف تكوين إنسان معاصر منقطع الصلة بماضيه، فقد جرت محاولات عديدة للهجوم على اللغة العربية وانتقاصها، والانصهار في الوحدة العالمية (الوحدة الثقافية أو الوحدة الحضارية) في مخطط يعمل على تدمير الثوابت الإسلامية، في محاولة لحجب جوانب أساسية من مفهوم العقيدة ومن التاريخ الإسلامي في محاولة لتقبل مفاهيم الغرب والصهيونية.

- اختلاف الدراسات السابقة حول تأثير الطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج، فقد أثبتت بعض الدراسات ضعف الهوية لديهم، وتم الاستدلال على ذلك من خلال وجود بعض المظاهر السلوكية والفكرية السلبية لدى المبتعثين أثناء دراستهم في المجتمعات الغربية، وكذلك استمرار هذا التأثير بعد رجوعهم من البعثة.

- قلة تطرق الباحثين بمصر إلى جانب تأثير الطالب المبتعث بثقافة بلد الدراسة بالخارج، فالجانب الثقافي لم يعطَ ما يستحقه من الاهتمام، ولم يدخل غالباً في دائرة اهتمام البحوث العلمية، وكذلك المؤسسات المسئولة عن الابتعاث.

وبناءً على ما تقدم، يحاول هذا البحث سد هذه الفجوة البحثية، وتتحدد مشكلة هذا البحث في السعي نحو تحديد أبعاد الوعي بالهوية الثقافية التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج، وواقع مستواه لديهم بغرض وضع آليات مقترحة لتنميته لديهم.

أسئلة البحث:

دارت أسئلة البحث حول تساؤل رئيس مؤاده:

كيف يمكن تنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج ؟

ويتفرع من هذا التساؤل الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما أبعاد الوعي بالهوية الثقافية التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج؟
- ٢- ما مستوى الوعي بالهوية الثقافية ككل وبأبعادها الفرعية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج؟
- ٣- ما الآليات المقترحة لتنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج؟

أهداف البحث:

- تحديد أبعاد الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج.
- تحديد مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج.
- التوصل إلى بعض الآليات لتنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى الطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج.

أهمية البحث:

- تأتي أهمية هذا البحث من أهمية البعثات العلمية، لما لها من دور كبير ومؤثر في إعداد عضو هيئة التدريس بالجامعة، حيث يعود النفع منها على المبتعث نفسه، وعلى جامعته، وعلى وطنه.
- يمكن أن تسهم نتائج هذا البحث في تقديم بعض الآليات التي يمكن من خلالها تنمية الوعي بالهوية لدى الطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج.
- قد يفيد هذا البحث صانعي السياسات التعليمية في الأخذ في الاعتبار الجانب الخاص بالهوية الثقافية عند التخطيط للبعثات العلمية.

حدود البحث:

- ١- الحد الموضوعي: يتناول هذا البحث بعض مقومات الهوية الثقافية التي تتمثل في: اللغة، والدين، والقيم والعادات.
- ٢- الحد البشري: يقتصر هذا البحث على طلاب الدراسات العليا المصريين المبتعثين للدراسة بالخارج، واشترط هذا البحث في عينته أن يكون المبتعث مر عليه ثلاث سنوات على

الأقل منذ سفره إلى الدولة المبتعث إليها، أو أن يكون من المبتعثين حديثي العودة إلى مصر، وذلك للمبررات الآتية:

- يحظى عضو هيئة التدريس بالجامعة بتقدير خاص من المجتمع والدولة، ويعزى ذلك إلى مكانته الاجتماعية ومكانته العلمية وإلى كونه قدوة ومثلاً لطلابيه.

- يعد طلاب الدراسات العليا من المعيدين والمدرسين المساعدين علماء المستقبل (أعضاء هيئة التدريس بالجامعات) الذين يسهمون في بناء الإنسان المصري، ويشكلون فكر ووعي طلاب الجامعة، ومن ثمَّ المجتمع ككل، حيث يتخرج على أيديهم جميع الفئات المهنية بالمجتمع.

- اهتمام المسؤولين وصانعي السياسات التعليمية في الوقت الراهن بالعائدين من البعثات العلمية الدارسين بالخارج.

٣- الحد المكاني: يقتصر هذا البحث على الطلاب المصريين المبتعثين ببعض الدول الغربية، وذلك لاختلاف ثقافة هذه الدول عن الثقافة المصرية أو الثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة.

مصطلحات البحث:

الوعي بالهوية الثقافية: يعرفه هذا البحث إجرائياً بأنه: إدراك الباحث المبتعث للخصائص الثقافية الإيجابية التي تميز المجتمع المصري دون غيره من المجتمعات الأخرى، مثل: الدين، واللغة، والقيم والعادات والتقاليد، وما يترتب على ذلك من التزامه بالسلوكيات والممارسات بغرض الحفاظ عليها من محاولات الاختراق والمسح والتذويب.

ويُقاس بمجموع الدرجات التي يحصل عليه الطالب المبتعث للدراسة بالخارج على مقياس الوعي بالهوية الثقافية المستخدم في هذا البحث.

خطوات البحث:

- تحديد مفهوم الهوية الثقافية وخصائصها.
- إلقاء الضوء على مكونات الهوية الثقافية للمجتمع المصري.
- تحديد أبعاد الوعي بالهوية الثقافية.
- إعداد مقياس الوعي بالهوية الثقافية، والتأكد من خصائصه السيكمترية (الصدق والثبات).

- تطبيق المقياس وتفرغ بياناته، ومعالجتها إحصائياً ثم تحليلها وتفسيرها.
- التوصيات والمقترحات.

أولاً- الإطار النظري:

المحور الأول - مفهوم الهوية الثقافية وبعض القضايا المرتبطة:

أولاً- مفهوم الهوية الثقافية:

يعد مفهوم الهوية الثقافية مفهوماً فلسفياً، فضلاً عن أنه ذو بُعد نفسي - اجتماعي، كما أن له علاقة بالعلوم السياسية؛ ومن هنا تعددت الرؤى حول معنى الهوية، ومن ثم لا يوجد تعريف جامع مانع لها.

فمن الباحثين من يرى أن الهوية هي التفرد والتميز، فيعرفها معجم المصطلحات الاجتماعية بأنها: "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد بطاقة الهوية الشخصية **Personal identity**، ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم (الاسم والجنسية والسن والحالة العائلية والمهنة)". وتنص القوانين عادة على إثبات صفة الفرد بمقتضى بطاقة شخصية **Identity Card** وتساعد هذه البطاقة الفرد في معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته (بدوي، ١٩٨٢، ٢٠٦). ولكن هذا التعريف قاصر حيث إنه يعبر عن كينونة الفرد، وليست هويته المتمثلة في صفاته الثابتة نسبياً.

وفي هذا السياق، يرى هارلمبس وهلبورن (٢٠١٠، ١٣) أن الهوية: "إحساس بالذات ينشأ حينما يولد الطفل بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه في المجتمع، فهي تشير إلى شعور شخص ما بمن هو، وما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له". وكذلك تعرفها خضر (٢٠٠٠، ٧٤) بأنها: "حقيقة الشخص المتضمنة صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتجعل له ذاتا مستقلة".

يتضح من هذه التعريفات أن الهوية تعبر عن التميز والتفرد سواء أكان هذا التميز للفرد أم للمجتمع.

وهناك فريق آخر من الباحثين، يرى أن الهوية تشير إلى التساوي، والمشابهة والتماثل. وهذا ما جاء في قاموس المورد الذي يعرف الهوية بالتماثل والمطابقة، ويعتبر الشيين شيناً واحداً (البعلبكي، ٢٠٠١، ٤٤٧).

وجاء في قاموس (2000) English Collins dictionary مصطلح الهوية

بمعنيين:

- توحد الفرد مع ذاته "Identification of oneself".
- جاءت مرادفة للمفاهيم التالية: الفردية *individuality*، والتميز *distinctiveness*، والوحدانية *oneness*، والذاتية *selfhood*، والخصوصية *particularity*، والتميز أو الأصالة *uniqueness*.

وجاء في معجم المصطلحات الاجتماعية أنها مشتقة من ال(هو) وأنها الشيء وعينه. يقال في المنطق: مبدأ الهوية *Principle of identity* يقصد به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو، أي هو عين ذاته وليس شيئاً آخر. ويهيمن هذا المبدأ على الأحكام والاستدلالات الموجبة ومن شأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء وما عداه، وألا نضيف للشيء ما ليس له (بدوي، ١٩٨٢، ٢٠٦).

ويشير هايدغر (٢٠١٥) إلى أن مبدأ الهوية عادة يتخذ الصيغة (أ = أ)، والحال أن كل مساواة تقتضي وجود طرفين على الأقل، "أ" مساو لآخر، وهذه الصيغة لا تقدم "أ" باعتبارها هي نفسها، لذلك فإن الصيغة المتداولة لمبدأ الهوية تخفي ما يريد هذا المبدأ قوله بالضبط، أي أن "أ هي أ"، وبعبارة أخرى إن كل "أ" هي نفسها، أي إن كل "أ" متطابق مع ذاته. وهذا يعني أن الهوية تشكل خاصية أساسية لكيثونة الموجود، ومن ثم، فإن الهوية تنتمي إلى كل موجود من حيث هو كذلك، من حيث إنه متوحد مع ذاته. ومن ثم، يشير مصطلح الهوية لدى الفلاسفة بالتساوي، أو التشابه المطلق بين كيانين أو كيفيين، وهنا تعني التوافق، وهذا يوحي بالثبات وعدم التغير.

تعرف إبراهيم (٢٠٠٣، ١٢٠) الهوية بأنها: "السمات المعبرة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد كيان اجتماعي معين، والوعي بخصوصيتهم المتمثلة في نسقهم القيمي، ورؤيتهم المتميزة للكون والإنسان، ورصيدهم المختزن من الخبرات المعرفية والتجارب والأنماط السلوكية، ونوعية تفاعلهم مع البعدين التاريخي والجغرافي كما تصوره مؤسساتهم الاجتماعية والسياسية".

يتضح مما سبق، أن مصطلح الهوية يستعمل للدلالة على كل من التشابه مع الذات والاختلاف عن الآخر، والجمعية والفردية. لذا فإن الهوية الثقافية تعني التفرد بكل ما يتضمنه معنى الذاتية الثقافية من عادات وتقاليد وقيم، وسلوك ونظرة إلى الكون، والحياة.

ثانياً - بعض القضايا المرتبطة بالهوية الثقافية:

ثمة تساؤلات متعددة تطرح نفسها، ولعل من أهمها: هل الهوية الثقافية تبقى كما هي دون تغيير أو أنها قابلة للتغيير؟ وما العلاقة بين الذات والآخر في مفهوم الهوية الثقافية؟ وما العلاقة بين الهوية الثقافية والسلوك؟

إن الإجابة عن هذه القضايا بمنزلة الحقائق المبدئية والأساسية أو الأرضية المعرفية التي يمكن من خلالها تناول مسألة الهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للدراسة بالخارج، كما أن الإجابة عن هذه التساؤلات تتطلب تأصيلاً نظرياً لها، وهذا ما يوضحه هذا العنصر من هذا البحث من خلال المحاور الآتية:

١- الهوية الثقافية بين التغيير والثبات:

ينظر بعض الفلاسفة إلى الهوية باعتبارها جوهرًا ثابتًا ومستقرًا يقاوم التطور، وفوق الأفراد والجماعة. بينما يرفض الفلاسفة الوجوديون عموماً أن يولد الإنسان بطبيعة جاهزة حددت سلفاً، أو توجد ماهية مشتركة لكل أفراد الإنسان، أي أن الإنسان محصلة لبيئته المادية والاجتماعية، وما يفرضه ذلك من تقبل واقع الإنسان المحتوم وحرية المفروضة عليه، وإنما يرون أن هذه الطبيعة توجد أولاً ثم تتحدد الماهية عند الإنسان ابتداءً من وجوده، بمعنى أن وجوده ذاتي يخلق ذاته بمطلق حريته، وبالتالي فالطبيعة الإنسانية لا تتحقق إلا بناء على اختيار الفرد الحر لما سيكون عليه. وفي ضوء الاختيار الذاتي الحر لأفعاله، فإنه يحدد نفسه شيئاً فشيئاً. وهو على هذا النحو يحدد صفاته، ويخلق ماهيته في ضوء موقفه منها. وما دام الإنسان حرّاً في اختياره، واختياره مقيد بمسئولية هذا الاختيار نحو نفسه ونحو غيره، فإن طبيعته تتشكل من المواقف والخبرات، ومن العلاقات الحرة بينه وبين الآخرين (الحاج، ٢٠١٤: ص ١٣٩).

ويميز ريكور (٢٠٠٥: ٤٩-٥٠) بين الهوية الذاتية، والهوية المطابقة (العينية)، حيث إن الهوية الذاتية تتغير وتبقى في الوقت عينه محافظة على ذاتها مع مرور الزمان، وبين هوية ثابتة لا تتغير ليست هي الذات بل ما يسمى بالإنجليزية **the same** التي تتميز

عن *the self*، والتي يمكن أن ندعوها بالعربية العين أو ما هو عينه أو العينية، وهي أقرب إلى مفهوم الجوهر عند أرسطو الذي لا يتغير بل يظل محافظاً على ما هو عليه، على الرغم من مرور الزمان. وهاتان الهويتان تنتميان إلى حالتين مختلفتين من الوجود، إذ أن الهوية العينية تنتمي بالأحرى إلى عالم الأشياء التي هي بتصرفنا ويمكننا أن نستعملها كما نشاء، في حين أن الهوية الذاتية تنتمي إلى الوجود الذي لا يستطيع إلا أن يطرح الأسئلة حول وجوده. ومن ثم، فهو يرى أن الهوية بمعنى *ipse* (ذاته) لا تحوي ضمناً أي تأكيد يخص وجود نواة لا تتغير تحويها الشخصية.

وعلى النقيض من ذلك يؤكد كثير من العلماء أن تشكل الهوية ما هو إلا عملية مستمرة، وليست معطى نهائياً مكتمل الصورة والبناء، حيث يرى الجابري (١٩٩٧) أن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهزاً ونهائياً يتغير إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار. كما أن الهوية تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وثقافتهم، وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما. ويرى معلوف (١٩٩٩) أن الهوية لا تعطى مرة واحدة وإلى الأبد إلى الفرد، بل تتشكل من عدة انتماءات تتبدل ويختلف تراتيب عناصرها طول حياته، ومن ثم فالهوية قابلة للتغير والتبدل حسب تأثير الآخرين بشكل أساسي على عناصره. وفي هذا السياق يؤكد عمارة (١٩٩٩، ٦) أن هوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، فهوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، ما دامت الذات باقية على قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره. وفي السياق ذاته، يوضح هانوم (٢٠٠٩، ٣٩) أن الهوية عبارة عن اتحاد ثلاثة عناصر أو مكونات، هي: الهوية المعطاة، والهوية المختارة، والهوية المحورية. ويمكن وصف هذه المكونات فيما يأتي:

- الهوية المعطاة: هي الخصائص أو السمات أو الظروف التي ليس للفرد فيها أي خيار، أو تلك التي منحها الفرد في الطفولة أو في المراحل اللاحقة في حياته، مثل: مكان الميلاد، والعمر، والنوع، وترتيب الولادة، والصفات الخلقية، أو أدوار عائلية معينة، أو الديانة.

- الهوية المختارة: هي الخصائص أو المميزات التي تختارها طواعية، وقد تكون تلك التي تصف مكانة الفرد أو مهاراته والأشياء التي يفضلها، مثل: المهنة، والهوايات، والاتجاه السياسي، ومكان الإقامة، والأدوار العائلية، وقد يشمل ذلك أيضاً الديانة.

- الهوية المحورية: هي الخصائص التي تجعل الفرد متفرداً بصفته الإنسانية، وبعض هذه الخصائص تتغير مع مرور الحياة وبعضها ثابت لا يتغير، ومن أمثلتها: السمات الشخصية، والسلوك، والاعتقادات والقيم والمهارات.

ومن الملاحظ أن الهوية تحوي بعض الصفات الثابتة وأخرى متغيرة، وثمة تداخل بين الصفات، وقد تظهر في مكونين من مكونات الهوية، مثل: اعتبار الانتماء الديني جزءاً من الهوية المعطاة أو الهوية المختارة.

كما يطرح بيكو (٢٠١٤، ٢٩) تعريفاً للهوية الجمعية بوصفها تصنيفاً اجتماعياً ذا بعدين متغيرين، هما المضمون والجدل. فالمضمون يصف معنى الهوية الجمعية. وينقسم مضمون الهوية الجمعية إلى أربعة أنواع قد تتداخل مع بعضها مع بعض وهي:

- ١- المعايير التأسيسية؛ وهي القواعد الرسمية وغير الرسمية التي تعرف عضوية الجماعة.
- ٢- الأغراض الاجتماعية؛ وهي الأهداف المشتركة بين أعضاء الجماعة.
- ٣- المقارنة بين العلاقات (العلائقية)، وهي تعريف هوية الجماعة بمفهوم المخالفة، أي من خلال نظرتها إلى جماعات ذات هوية أخرى، خاصة عندما تكون نظرتها إلى الآخر جزءاً من تعريفها لهويتها الذاتية.

٤- النماذج المعرفية، وهي النظرة الكلية إلى العالم أو طريقة فهم الظروف والمصالح السياسية حسبما تمليها هوية معينة.

أما جدل الهوية فيشير إلى درجة الاتفاق داخل الجماعة على مضمون الهوية المشتركة والجدل حول مقوماتها، فالهويات الاجتماعية أبعد ما تكون عن السكون والثبات، فهي بهذا المفهوم تتفاوت في مدى الاتفاق والاختلاف على معانيها. وتتفاوت جوانب المضمون المرتبطة بالهوية الاجتماعية تفاوتاً كبيراً يستحيل أن نحددها جميعاً تحديداً مسبقاً.

يؤكد صن (٢٠٠٨، ٢١) قضيتين متميزتين أولهما، الاعتراف بأن الهوية ذات بنية تعددية متينة، وأن أهمية وجود هوية واحدة لا تتطلب بالضرورة محو الهويات الأخرى. والأخرى، أنه لا بد للشخص أن يقرر - على نحو صريح أو ضمني - اختياراته فيما يتعلق

بالأهمية النسبية لانضمامه، في سياق معين، إلى الولاعات المتباينة والأولويات التي يمكن أن تتنافس من أجل أن تكون لها الأسبقية، وبذلك يختلف صن مع المفكرين الجماعيين الذين يميلون إلى الاحتجاج بأن سيادة هوية جماعة إنسانية ليست مسألة اختيار، إنما هي مسألة إدراك للذات، وكأن الهوية ظاهرة فطرية خالصة، كما يؤكد أنه من الصعب أن نصدق أن شخصاً ما لا اختيار لديه بالفعل في اتخاذ قرار يخص مدى أهمية اتصاله بالجماعات المختلفة التي ينتمي هو (أو تنتمي هي) إليها، فالإنسان لديه الحرية أن يصل إلى قرار فيما يخص ولاءاته وأولوياته بين الجماعات المختلفة، ووجود الاختيار لا يدل - بالطبع - على عدم وجود ضغوط تقيّد الاختيار. والواقع أن الاختيارات دائماً ما تكون داخل حدود ما يُنظر إليه على أنه ممكن وقابل للتنفيذ. والقابلية للتنفيذ في حالة الهويات تعتمد على السمات الشخصية للفرد، وعلى الظروف التي تحدد الإمكانيات البديلة المتاحة له، ومن ثمّ، فالفرد هو الذي يقرر ما هي الأهمية المحددة للتعلق بتلك الهوية واعتبارها أهم من علاقته بالفئات أو التصنيفات الأخرى التي ينتمي إليها أيضاً.

يتضح مما سبق، أن الهوية ليست شيئاً جامداً أزلياً، ولكنها تخضع بوصفها ظاهرة إنسانية لقوانين الحركة والتغير والسيروية، ولكنها تتسم بالثبات النسبي، والتغير ظاهرة ثابتة في كل شيء في الكون، وليس أدل على ذلك ما نلاحظه من تغيرات كبيرة وبخاصة لدى الشباب في كثير من القيم التي وسم بها المصريون، وكان يُظن أنها أبدية، مثل: الارتباط بالأرض وبالوطن، والشعور بالانتماء، والتسامح، وقبول الآخر، والخنوع والخوف من السلطة، وقيم التعليم والعلم، والالتزام بأداء الواجب.

وتجدر الإشارة إلى أن الهوية معطى متحول يتفاعل مع جملة الشروط التي تكتنف وجود الإنسان في التاريخ، وليست ماهية جوهرية ثابتة؛ لذا من الممكن أن تتأثر الهوية الثقافية لطلاب البعثات العلمية للدراسة بالخارج سلباً، مما يحدث لديهم اضطراب أو أزمة في الهوية.

٢- الهوية الثقافية باعتبارها نتاجاً اجتماعياً مركباً:

تعد الهوية الثقافية النواة الحية لكل من الشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة. إن عملية تشكيل الوعي بالهوية الثقافية عملية يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع أفراد مجتمعه.

يؤيد هذا الرأي ما أكده كاستيل (6: 2004 Castells) من أن الهوية ظاهرة اجتماعية، أي تُبنى اجتماعياً، حيث يُنظر إليها على أنها الخصائص المشتركة بين أفراد جماعة اجتماعية معينة، وهذا يعني أنها الوسيط بين الفرد والبناء الاجتماعي. وفي هذا السياق، يؤكد غدنز (2005: 90) "أن مفهوم الهوية يتعلق بفهم الناس وتصوّره لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم". ويرى أنه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ينمو لدى كل إنسان إحساس بالهوية وقدر من القدرة على الاستقلال في الفكر والفعل. ويشير إلى أن علماء الاجتماع يفرقون بين نوعين من الهوية هما: الهوية الاجتماعية، والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية). وإذا كانت الهويات الاجتماعية دليلاً على التشابه بين الأفراد، حيث تتضمن الهويات الاجتماعية أبعاداً جماعية، فإن الهوية الذاتية تضع الحدود المميزة لنا بوصفنا أفراداً. وتشير الهوية الذاتية إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح متميزة لأنفسنا ولعلاقتنا مع العالم حولنا.

ويشير بترسون (2010، 143) إلى أن الهوية الشخصية تتضمن بعض الصور الوقتية والمتغيرة التي يكونها الفرد عن نفسه عندما ينتقل من إطار اجتماعي إلى غيره، وغالباً ما يكتسب هذا النوع من الهوية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية الثانوية التي من السهل أن يتم إلغاؤها أو استدعاؤها، ونظراً لأن مكونات الهوية يتم اكتسابها من خلال التنشئة الأولية عادة ما تكون منوئة للتغيير، ونظراً لأن الالتزام الديني عادة ما يرجع إلى التنشئة الاجتماعية خلال مرحلة الطفولة، فإن القيم الدينية والمعتقدات تكون (إذا ظلت جميع العوامل مناسبة كما هي) أقل تأثراً بالتغيير كنتيجة للهجرة، وهكذا من الممكن افتراض أن الهجرة الدولية سيكون لها تأثير واسع في القيم التي تكتسب بالتنشئة الثانوية خلال فترة المراهقة المتأخرة والبلوغ عند مقارنتها بالقيم التي تكتسب بالتنشئة الأولية خلال مرحلة الطفولة.

ومن هنا يتضح أن الهوية الثقافية مكتسبة وتبدأ مع الفرد منذ الصغر وتنمو وتنمو وتصاحبه كصفة له طوال مراحل حياته، حيث إن لكل مرحلة عمرية تفاعلاتها الخاصة بها في إطار البيئة المحيطة به.

ويزعم باريك (9: 2008 Parekh) أن الهوية لها ثلاثة أبعاد مترابطة ولكن مختلفة، وهي: الهوية الشخصية، والهوية الاجتماعية، والهوية الإنسانية (العالمية). فالبعد الشخصي

يعرف الفرد باعتباره شخصاً متفرداً بذاته، والبعد الاجتماعي يعرف الفرد باعتباره عضواً في جماعة أو تكوين أو علاقة مخصوصة، أما البعد الإنساني فيعرفه باعتباره عضواً في المجتمع الإنساني العالمي، وترتبط الأبعاد الثلاثة ارتباطاً وثيقاً.

ويرى الباحث أن البعد الثالث "الهوية الإنسانية" يحتوي على شيء من التناقض بين الصفة (الإنسانية)، والموصوف (الهوية)، حيث إن الموصوف (الهوية) تتضمن في معناها التميز والتفرد والاختلاف عن الآخر، بينما تتضمن الصفة "الإنسانية" شيئاً من العمومية والتشابه، ومن ثم فإن هذه الصفة تفرغ الهوية من مضمونها ومعناها، ولا يمكن لأي فرد أن يتجرد من خصوصياته الثقافية التي تشربها في مراحل العمر الأولى.

وتوجد ثلاثة مستويات للهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب: الهوية الشخصية (الذاتية)، الهوية الجماعية، والهوية الوطنية (القومية). والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين، يتغير مدى كل منهما اتساعاً وضيقاً، حسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، والتضامن واللاتضامن، التي تحركها المصالح الفردية والمصالح الجماعية والمصالح الوطنية والقومية (العطوي، ٢٠٠٨، ٢٢٢).

بينما يعرف هانوم الهوية الاجتماعية بأنها: طريقة تفكير الفرد في ذاته وفي الآخرين بالاعتماد على المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وتتكون الاجتماعية من عناصر الشخصية التي يتمتع بها الإنسان التي تأتي عادة من المجموعات التي ينتمي إليها سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالعمر، أم النوع (ذكراً أو أنثى) أم الجنسية، أم العرق، أم القبيلة، أم الدين، أم الوضع الاجتماعي والاقتصادي (هانوم، ٢٠٠٩، ١٥).

وتحتوي الهويات على عناصر من الفردية المتميزة وعلى عناصر يشترك بها الأفراد جماعياً. وإذا كان لكل فرد هوية خاصة به، فإن تلك الهويات تكتسب طابعها عبر الانتماء إلى الجماعات الاجتماعية، حيث إن العناصر الفردية للهوية تؤكد على الاختلافات، بينما العناصر الجماعية تركز على التشابهات مع أن الاثنين يرتبطان بإحكام. وتشكل الهوية عبر العمليات الاجتماعية، وخلال هذه العمليات يتعلم الناس كيفية التمييز بينهم وبين الآخرين من حيث التشابهات ذات الأهمية الاجتماعية وكذلك الاختلافات. ففي فترة الطفولة تنال بعض الهويات أهمية رئيسية وتبقى مستقرة نسبياً طوال فترة حياة الأفراد، فهويات مثل: الجنس

والقراءة والخصوصيات الأثنية تعد من الهويات الرئيسية التي يصعب تغييرها خلال حياة الفرد قياساً بالهويات الأخرى (هارلمبس وهلبورن، ٢٠١٠، ١٠٥).

وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن الهوية نتاج تاريخي اقتصادي اجتماعي، فالإنسان يولد مزوداً بقدرات أو إمكانات واستعدادات كامنة قابلة للتشكل والنمو أو للإعاقة في أي اتجاه، ولكنه لا يكتسب ثقافة المجتمع الذي يولد فيه بصورة سلبية، حيث إن البشر ليسوا كائنات سلبية تقف مكتوفة الأيدي بانتظار من يُبرمجها، ولكن يمتلك الإنسان حرية الإرادة. ومن ثم، فإن الفرد هو الذي يحدد هويته الذاتية (الشخصية) بالكيفية التي يريد أن يرى بها نفسه، ويقرر الأهمية النسبية التي يعلقها على كل هوية بمفردها.

يتضح مما سبق أن الهوية قضية مركبة تتداخل فيها عدة هويات، هي: الهوية الذاتية (الشخصية)، والهوية الاجتماعية، والهوية الثقافية.

ويرى صالح (٢٠٠٠، ٣٠٠) أن الهوية الثقافية تتحرك على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد: الدائرة الأولى يمثلها الفرد داخل الجماعة الواحدة، وهي عبارة عن "أنا" لها "آخر" داخل الجماعة نفسها، والدائرة الثانية تمثلها الجماعة داخل الأمة وهي مثل الأفراد داخل الجماعة لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها و"آخر" تتعرف من خلاله نفسها بوصفها ليست إياه، والدائرة الثالثة تمثلها الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريدًا وأكثر قابلية للتنوع والاختلاف.

ويختلف الباحث مع هذا الترتيب للهويات الثلاث، حيث يرى أن الدائرة الأولى تمثل هوية الثقافة للأمة الواحدة، حيث إنها النواة بالنسبة للهويتين الأخرين الشخصية والاجتماعية، ومن ثم يوضح شكل (١) العلاقة بين هذه الهويات.



شكل (١) العلاقة بين أنواع الهوية

يتضح من شكل (١) أن هوية المرء المشتركة مع جماعته أو مجتمعه هي الهوية المحورية (الهوية الثقافية) وهي التي تجعل أفراد مجتمع معين يتميزون عن غيرهم من المجتمعات الأخرى، كما إنها تتأثر بعملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع الذي ينتمي إليه، وتتضمن عدة عناصر، مثل: الدين واللغة والقيم والعادات والتقاليد، وهي تشير إلى حالة الولاء والانتماء التي يشعر بها الفرد تجاه المكان والمجتمع الذي يعيش فيه، وهي التي تسهم في استقرار المجتمع ووحدته وتماسكه. بينما تشير الهوية الاجتماعية إلى مثل: الوظيفة، والانتماء السياسي، ومكان الإقامة. وتشير الهوية الذاتية (الشخصية) إلى مجموعة الصفات والخصائص المميزة للفرد دون غيره من أفراد مجتمعه، مثل: العمر، والنوع، والصفات الخلقية، وبعض الأدوار العائلية.

٣- ثنائية الذات والآخر في مفهوم الهوية الثقافية:

يؤكد مفهوم الهوية الثقافية على الذاتية الثقافية، حيث يعرف الودغيري (٢٠٠٠، ٦٨) الهوية بأنها: "جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر، فغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر". ويشير ريكور (٢٠٠٥، ٧٢) إلى أن الذات لا تعيش وحدها بل تكتشف سريعاً البنية الثنائية الحوارية للعيش، إنها تكتشف الآخر، وهذا ما يحرك دياكتيك إضافي للذاتية والعينية وهو دياكتيك الذات والآخر غير الذات. فنحن حين نبقي ضمن دائرة الهوية العينية فإن غيرية الآخر المختلف عن الذات لا تمثل أي شيء أصيل، حيث يصبح الآخر بمعنى كلمات

النقيض والتميز والمختلف والمتنوع. ولكن الأمر يختلف لو جمعنا بين كلمة الغيرية مع الذاتية، فثمة غيرية مختلفة أو على الأقل إنها آخريّة يمكن أن تكون مكونة للذاتية نفسها، أي أن الذات عينها بما هي آخر، فذاتية الذات تحتوي ضمناً الغيرية، حتى لا يمكن التفكير في الواحدة دون الأخرى، أو كما قال هيجل: إن الواحدة تدخل في الأخرى.

ويشير هارلمبس وهلبورن (٢٠١٠، ١٠٥) إلى أن الهوية ليست أحادية الجانب، وإنما تتشكل دائماً عبر العلاقات مع الآخرين، فالأفراد في كل يوم من الحياة يهتمون بإيصال الانطباع الذي يريدونه عن أنفسهم إلى الآخرين. فالهويات تتكون عندما يحاول الناس إيصال صورتهم إلى الآخرين وهم قد ينجحون في ذلك وقد يخفقون. وإذا أخفقوا سوف يدركون صعوبة الاحتفاظ بالهوية التي يريدونها. والهويات لا تتعلق فقط بانطباعنا عن أنفسنا، وإنما أيضاً انطباعنا عن الآخرين وانطباع الآخرين عنّا. فالهوية ذات معنى مزدوج، فهي داخلية (Internal) بمقدار ما نعتقد حول هويتنا، وخارجية (External) تتعلق بالطريقة التي يرانا فيها الآخرون. والهويات تتكون وتستقر وفق علاقات دياكتيكية بين هذه العوامل الداخلية والخارجية، وهي تتفاعل لتنتج الهوية.

وفي هذا السياق ، يؤكد بيكو (٢٠١٤، ٤٣٥) أن الأساس في مفهوم الهوية أنها في جوهرها ظاهرة علائقية؛ فالذات تُعرف أساساً في إطار علاقتها بالآخر. وعلى هذا المنوال يشير صن (٢٠٠٨، ٢٢) إلى أن إدراك الهوية الذاتية أو الكيفية التي نريد أن نرى بها أنفسنا، يتطلب القدرة على إقناع الآخرين أن يرونا بهذه الطريقة وحدها، والواقع أننا أحياناً قد لا نكون مدركين لتعريف الآخرين لنا، وهو التعريف الذي قد يختلف عن إدراكنا لذواتنا، ومن ثمّ فإن استخدام العقل والمنطق في اختيار هوية اجتماعية يمكن أن يحل محله قبول غير مشروط بالسلوك الامتثالي، مهما كان مرفوضاً، أي أن كثيراً من الممارسات غير المقبولة تعيش بسبب القبول غير المشروط للمعتقدات المتلقاة، مثل: المعاملة غير العادلة في المجتمعات التي تقوم على التفرقة بين الجنسين.

أوجه الإفادة من هذا المحور:

- تتاب الهوية حالة من التغير المستمر.
- يميز العلماء بين نوعين من الهوية هما: الهوية الاجتماعية، والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية). ويمكن النظر إليهما من خلال علامات ومؤشرات على ماهية هذا الشخص أو

ذاك، حيث تتضمن الهويات الاجتماعية أبعاداً جماعية تتميز بالاستمرارية النسبية عبر الزمان والمكان، وتعطي مؤشرات على أن الأفراد متشابهون مثل غيرهم من أفراد الجماعة التي ينتمون إليها. بينما تضع الهوية الشخصية الحدود المُميّزة بوصفه فرداً داخل هذه الجماعة.

- فالفرد كما أن له هوية فالمجتمع والأمة كذلك لهما هوية مستقلة تتميز بها عن غيرها، وإلا تشابهت الأمم. فالهوية بالنسبة لأفراد المجتمع هي الحصن الذي يتحصنون داخله، والنسيج أو المادة اللاصقة التي تربط بين لبناته، والتي إذا فقدت تشتت المجتمع، وتنازعتة التناقضات.

- كلما توافقت هوية الفرد مع الهوية الثقافية للمجتمع تعمق إحساسه بالانتماء لهذا المجتمع واعتزازه به، أما إذا تصادمتا فهناك تكون أزمة الهوية وأزمة الاغتراب.

- والهوية لها علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلّماته الفكرية، والهوية هي التي تحدد سلوك الفرد، وتوجه اختياراته عند تعدد البدائل، فأنت إذا عرفت أن هذا هويته -مثلاً- مسلم، فالأصل أن هذا المسلم يجتنب لحم الخنزير، ويجتنب الخمر، ولا يفعل كذا وكذا، ويعتقد كذا وكذا، وإذا عرضت عليه عدة اختيارات في أي قضية فطبقاً لانتمائه الاعتقادي وطبقاً لهويته فهذه الهوية هي التي سوف توجه اختياره أمام البدائل المتعددة.

- الهوية مكتسبة، والفرد هو الذي يقرر مدى الأهمية التي ينبغي أن يوليها لهوية معينة فوق الهويات الأخرى التي قد تكون لديه.

- تتأثر الهوية بالسياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد.

المحور الثاني: الوعي بالهوية الثقافية للمجتمع المصري:

١- مفهوم الوعي بالهوية الثقافية:

تختلف مدلولات الوعي، من مجال إلى آخر، ففي قواميس اللغة العربية، الوَعْيُ حِفْظُ القلبِ الشيء، وعى الشيء والحديث يَعْيه وَعِيًا، وَأَوْعَاه حَفِظَهُ وَفَهِمَهُ وَقَبَلَهُ فهو واعٍ، وفلان أَوْعَى من فلان أي أَحَفَظُ وَأَفْهَمُ. وفي الحديث: "تَصَرَّ اللهُ امرأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ"، وفي حديث أبي أمامة: "لا يُعَدُّ اللهُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ"، قال ابن الأثير: أي عَقَلَهُ إيماناً به وَعَمَلًا فأما من حَفِظَ أَلْفَاظَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ فَإِنَّهُ غير واعٍ له (ابن منظور، د.ت، ٣٩٦). بينما يقترن الوعي لدى علماء النفس بالشعور. فالوعي **Consciousness** يُعرَفُ بأنه: "إدراك المرء لذاته وأحواله وأفعاله إدراكًا مباشرًا، وهو أساس كل معرفة وله مراتب

متفاوتة الوضوح، ومظاهره ثلاثة: الإدراك، والوجدان، والنزوع" (مجمع اللغة العربية، ١٩٩٤، ٣٠٤٤). ومن ثم، يقتزن معنى الوعي باليقظة في مقابل الغيبوبة أو النوم.

ويعرف بدوي (١٩٨٢، ٨٢) الوعي بأنه: إدراك المرء لذاته، ولما يحيط به إدراكًا مباشرًا، وهو أساس كل معرفة، وأن الوعي الجماعي أو الشعور الجمعي هو وعي الأفراد بالعلاقات الاجتماعية بينهم، وبتجاربهم المشتركة، وقد ينمو هذا الشعور نحو الاشتراك في تحمل المسؤولية والنهوض بالمجتمع، كما يطلق على الشعور الجمعي أيضًا الوعي الاجتماعي.

ويعرف برغسون (٢٠٠٩، ٢١٧) الوعي بأنه: مفهوم مشترك بين الفلسفة وعلم النفس، يشير في العادة إلى معرفة النفس لذاتها وبذاتها التي تتم من خلال معرفتها واتصالها بموضوع خارجي، كما يفيد المفهوم معنى الخبرات والتجارب التي تحصل لفرد ما في فترة ما. ويضيف برغسون أن الوعي هو الذاكرة عينها، الذاكرة التي تحتفظ في أعماقها بكل معطيات الماضي الذي يتراكم ليصبح جزءًا من الحاضر، ويكون الوعي بذلك شكلاً من أشكال استباق المستقبل.

يتضح مما سبق أن الوعي بمنزلة حلقة وصل بين ما كان في الماضي وما سوف يكون في المستقبل، وهو أكثر من مجرد خبرات شخصية يمتلكها الكائن في لحظة زمنية معطاة، بل هو إلى حد ما بمنزلة الحدس المباشر والكامل.

ويرى نصري (١٩٩٨، ١٢١) الوعي معطى قائمًا بكل نفس ومرتدًا منها، وهو الحاوي لكل ما تضرر من قوى شعورية وإحساسات داخلية وأخلاقية وما يبرز منها في كل سلوك، يدرسه علم النفس.

ويتضح من ذلك، أن الوعي يؤسس على ثلاثة جوانب: الجانب المعرفي، والجانب الوجداني، والجانب التطبيقي.

٢- أبعاد الوعي بالهوية الثقافية للمجتمع المصري:

يشير عبد القادر (٢٠١٣، ١٦) إلى أن الوعي بالهوية يقوم أساسًا على سلوكيات تستند إلى معلومات ومعارف واتجاهات متوازنة نحو الهوية، وهو يتضمن ما يلي:

- إدراك ومعرفة وفهم لطبيعة الهوية ومكوناتها.

- سلوك إيجابي في ترسيخ ومسايرة الهوية ومكوناتها.

يتضح من ذلك أن الفرد يمكن أن يوصف بأن لديه وعياً بالهوية متى توفرت لديه تلك الإدراكات الخاصة بمكونات الهوية الثقافية. ويتمثل الجانب المعرفي في توفر المعلومات والمعارف حول مكونات الهوية، أما الجانب الوجداني فيتمثل في تكوين الميول والاتجاهات نحو مكونات الهوية الثقافية، فيعمل صاحب هذا الوعي على صون هويته الثقافية، فيتصدى بالقول ويقاوم المخاطر التي تهدد الهوية الثقافية وتعمل على مسخها أو طمسها، فإذا اكتملت جوانب الوعي المعرفية والوجدانية والسلوكية (الأدائية) وصف هذا الشخص بأنه لديه وعي بهويته الثقافية.

ومن ثم، كان لزاماً على الباحث أن يحدد أبعاد الوعي بالهوية الثقافية، ومؤشرات الوعي بكل مكون منها، والتي يهدف المقياس إلى التحقق من مدى توافرها لدى الطلاب المبتعثين بالخارج.

تبين مما سبق أن الهوية نتاج اجتماعي، أي أن لكل مجتمع هوية خاصة به تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، ومن ثم، فإن للمجتمع المصري هوية ثقافية خاصة به، فقد شهدت مصر على مدى التاريخ عدة ثقافات متنوعة حملتها الشعوب التي وفدت إليها على فترات مختلفة، وتفاعل أصحاب تلك الثقافات مع الثقافة المصرية الأصلية حتى تبلورت عنها في النهاية مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأفكار صنعت الملامح الأساسية لثقافة المصريين.

ولعلّ هذا ما أشار إليه جرشوني، جانكوفسكي (٢٠١٣، ٨) بقوله: "إن إثارة قضية الهوية دائماً ما يوضع تناقضاً بين أصالة مصر، وبين المكون العربي والإسلامي لثقافتها، أو بين أصولها ما قبل الإسلامية العربية وما بعدها. ومما يزيد الأمر تعقيداً صعوبة الفصل بين الثقافي والسياسي في مسألة الهوية. وخلاصة القول عندهما: إن الرافدين العربي والإسلامي في التركيبة المصرية صاراً جزءاً من النسيج العضوي للشخصية المصرية، تفاعلتا معه واندمجتا فيه بحيث لا يمكن فصل أيهما عن هذه التركيبة، شأنهما في هذا شأن المكون الفرعوني والبيزنطي والقبطي؛ فمزيج كل هذا هو الشخصية المصرية. وقد أصبح من المستحيل القول بالعودة إلى جذورنا الفرعونية أو القبطية أو البيزنطية وتجاهل عهود مديدة من التفاعل بين تلك الروافد العربية والإسلامية.

ويشير باري (Parry 2002) إلى أنه من السهل تحديد عناصر أو أركان الهوية عن تعريف الهوية نفسها، حيث إن الهوية تتضمن أركان عدة، منها : اللغة والثقافة والدين والعرق. وتشير الكتابات العربية إلى أن أهم أركان الهوية على الإطلاق في تحديد خصوصية الثقافة العربية وتميزها عن غيرها من الثقافات الأخرى هو: الدين (العقيدة)، يليها اللغة، التاريخ (أبو زيد، ٢٠١٢، ٢١؛ عمارة، ١٩٩٩، ٩). ويرى الشرقاوي (٢٠٠٤، ٢٣) أن الهوية الثقافية تشتمل على عدة جوانب، هي: الجانب الجغرافي: بما يمثل من أرض ووطن وكيان مادي، والجانب الثقافي: ويشير إلى التمسك باللغة والتراث، والجانب الديني: ويشتمل على التراث الروحي، وشعور الفرد أنه جزء من هذا المكون الروحي، والجانب الاجتماعي: مثل التمسك بالقيم والأعراف الحضارية ورفض القيم الدخيلة والأعراف المستوردة من الخارج، فضلاً عن التطور الإبداعي للأفراد مع الاحتفاظ بالمكونات الثقافية الخاصة بالجماعة والتي تكونت بفعل التاريخ واللغة والقيم المشتركة وطموحات المستقبل.

يتضح مما سبق أن مقومات الهوية الثقافية هي العناصر التي تجتمع عليها الأمة وأقطارها المختلفة من وحدة عقيدة، ووحدة تاريخ، ووحدة اللغة، والقيم والتقاليد، والموقع الجغرافي المتميز المتماسك، وأعظمها ولا شك هي العقيدة، والتي تذوب فيها بقية العناصر.

وركزت دساتير مصر جميعها على هذه المقومات، على النحو الآتي:

- ففي دستور عام ١٩٢٣ جاء النص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وأن العربية هي لغتها.
- ولقد أضيف إلى ذلك في دستور ١٩٧١م المعدل في عام ١٩٨٠م النص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع.
- أما في دستور ١٩٥٤م - الذي وضع بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م - والذي لم يطبق، فقد كانت الهوية الإسلامية حاضرة في صياغته - فالسنهوري باشا كان رئيس لجنة وضع الدستور، وفي مداوات "لجنة الحريات والحقوق والواجبات العامة" بالجلسة السابعة عام ١٩٥٣م تحدث الدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) عن حاكمية القرآن والإسلام على الدستور.

- أما دستور عام ٢٠١٢ فقد تميز بنصوص جديدة وعديدة أكدت هذه الهوية العربية الإسلامية للدولة والأمة والمجتمع، ومن هذه النصوص - على سبيل المثال(عمارة : ٢٠١٤ ، ٩٨):
- النص (ولأول مرة) في المادة (١) على أن الشعب المصري جزء من الأمة الإسلامية- بالإضافة إلى الأمة العربية.
- النص (ولأول مرة) في المادة (٢١٩) على تفسير لمبادئ الشريعة - في المادة (٢) - يخرج هذه المبادئ من الاختزال في النصوص قطعية الثبوت والدلالة إلى رحابة مصادر الشريعة.
- النص(ولأول مرة) في المادة (١٢) على حماية الدولة للمقومات الثقافية والحضارية واللغوية، وأنها تعمل على تعريب التعليم والعلوم والمعارف.
- أما دستور عام ٢٠١٤ فقد نص في المادة (٢) على أن الإسلام هو دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع، وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.
- وعلى الرغم من تداخل مقومات الهوية الثقافية وصعوبة الفصل بينها، فإنه يتم تناول كل مقوم منها على حدة، وذلك على النحو الآتي:

١- الدين:

يؤدي الدين دورًا جوهريًا في حياة الإنسان والمجتمع، إذ يساعد على دعم أسس التكامل والاستقرار الاجتماعي وتحقيق الرفاهية وتدعيم عوامل الأمن والأمان. ويؤدي الدين وظائف اجتماعية، مثل: المحافظة على صلوات الدم والأنساب وصلات القرابة، وتدعيم كيان الأسرة، وتقنين أسس الاختيار الزوجي وتنشئة الطفل في المراحل العمرية المختلفة، وتأصيل قيم التراحم والتواصل بين الأجيال المتعاقبة بين الجنسين، وتبجيله لقيم النخوة والشجاعة والمرعوة وإعالة وكفالة اليتيم والفقير(المهدي، ٢٠٠٢).

وعند النظر إلى الدين الإسلامي باعتباره الدين الرئيس للدولة المصرية، حيث يدين به أغلب المجتمع المصري، يجد أنه مستوف لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة عن الآخر، فهي هوية خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة وأصول ثابتة رصينة تجمع وتوحد تحت لوانها جميع المنتمين إليها، وتملك رصيّدًا تاريخيًا عملاقًا لا تملكه أمة من الأمم، وتتكلم لغة

عربية واحدة، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابهة وممتدة، وتحيا لهدف واحد هو إعلاء كلمة الله، وتعبيد العباد لربهم.

ويقدم الإسلام نسقاً ثقافياً متكاملًا تحدد بمقتضاه نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى ثنائية تكوينه من جسد وروح، ونظرة الإنسان إلى الخالق وعلاقته بها وصفات الله كما تعبر عنها الأسماء الحسنى، والنظرة إلى الكون، حيث يقدم الإسلام نظرية كونية متكاملة تبين العلاقات بين مظاهر الكون المختلفة، والنظرة إلى الآخرين وبخاصة أتباع الديانات السماوية المختلفة، حيث ينص القرآن على كيفية التعامل مع الآخر وحرية العبادة واحترام الأنبياء والرسل (أبو زيد، ٢٠١٢، ٣٦).

ويشير عمارة (١٩٩٩، ٧) إلى أن جوهر الهوية الثقافية العربية الإسلامية هو الدين الإسلامي، فمنذ أن تديننت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة، فهو الذي طبع ويطلع، وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته؛ فعاداتها وتقاليدها وأعرافها، وأدبها وفنونها، وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية، وفلسفة علومها الطبيعية والتجريبية، ونظرتها للكون وللذات وللآخر، وتصوراتها لمكانة الإنسان في هذا الكون.. من أين أتى؟ وإلى أين ينتهي؟ وحكمة هذا الوجود وغايته؟ ومعايير المقبول والمرفوض، والحلال والحرام في المسيرة الحياتية للإنسان المسلم، كل ذلك - وما مثله - قد انطبع بطابع الإسلام، واصطبغ بصبغته، ومن ثمّ يمكن القول: إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها هو المعيار الإسلامي.

جدير بالذكر أن الثقافة الدينية تمثل الملمح الأساسي في شخصية المصريين، ولعلّ طبيعة التدين التي اشتهر به المصريون منذ القدم تشكل حجر الزاوية في الملامح الأساسية لثقافة المصريين وتفسر كثيرًا من المواقف والتصرفات المأثورة عن المصريين والتي يمكن للأجنبي أن يلمحها بسهولة، ومن هذا التدين تولدت القيم الآتية: (الدسوقي : ٢٠٠٦، ٤٩) - قيمة المحافظة على التقاليد وعلى الأفكار وعلى التصورات السائدة ومبدأ احترام الخصوصيات.

- قيمة العزوف عن الجدل، وعدم استحسان كثرة اختلاف الآراء وخاصة في أمور الدين. ومن دلائل ذلك أن المصريين الذين أسلموا لم ينساقوا إلى الخلافات المذهبية الخارجة على مذهب أهل السنة عندما حدثت.

- قيمة الاعتدال والتسامح، ومن ثمّ "الوسطية" المستندة إلى النظام الروحي الديني حيث تظل منظومة القيم الاجتماعية في حالة من الثبات لا تقبل التغيير إلا بقدر يسير يأتي مع الثورات الكبرى والاضطرابات الاجتماعية وسرعان ما تعود المنظومة إلى حافة الوسطية.

وقد أشارت كثير من الدراسات إلى الدلائل والشواهد التي توضح الوعي بالدين الإسلامي باعتباره مقومًا أصيلاً من مقومات الهوية الثقافية بالمجتمع المصري. وتجدر الإشارة إلى أن الهوية الإسلامية في المقام الأول تعني الانتماء للعقيدة انتماءً يترجم ظاهراً في مظاهر دالة على الولاء لها، والالتزام بمقتضياتها؛ فالعقيدة الإسلامية التوحيدية هي أهم الثوابت على الإطلاق في هوية المسلم وشخصيته، وتعد العقيدة هي المادة اللاصقة التي تربط لبنات المجتمع الإسلامي، وإذا وجدت تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية، ومن ثمّ رابطة الأخوة الإسلامية من أعظم أركان الهوية الإسلامية، حيث قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢] تربط هذه العقيدة الإسلامية -التي هي الركن الأعظم في الهوية الإسلامية- المسلم بأخيه، حتى يصير المسلم وأخوه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك، كما قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

فقد تناول برغوث (٢٠٠٦، ٢٠٠٨) مؤشرات الوعي بالعلاقة بين الدين الإسلامي والسياق الاجتماعي، ومن هذه المؤشرات:

- ١- أن يجعل الشريعة الإسلامية خطاباً مباشراً للفتوة.
- ٢- إدراك أن الإسلام يقدم للناس حلول وعلاج لمشكلاتهم.
- ٣- إدراك أن الإسلام يحطم صنم وشهوة التشدد والتنطع والعنف والإفراط والتفريط والإكراه والتعسف والتعسير، ويرسخ في حياة الأجيال وثقافتها معالم التسامح والاستبشار والتراحم والاستقامة والتوازن والحوار والحق والعدالة والتيسير.
- ٤- إدراك أن الإسلام يقدم للناس كحل وعلاج لمشكلاتهم وكمفتاح يسير للتعامل مع حاجاتهم ونداءاتهم وصرخاتهم التي تبحث عن الدواء لأسقامهم.

ولعلّ من أهم مؤشرات الوعي بالعلاقة بين الدين والسياق الاجتماعي، ما أشار إليه الحسن (٢٠٠٠، ١٥ - ٢٧)، ومنها:

١- إدراك الفرد المسلم أن الإنسان هو وسيلة التغيير الحضاري، وإرادته واختياره هو الأساس والمرتكز في هذا التغيير، فإن ذلك لا يعني التضاد والتصادم بين السنن (أقدار الله) والحرية الإنسانية، فقد جعل الله حصول التغيير بإرادة الله لا يتحصل ولا يجرى إلا ثمة لإرادة التغيير عند الإنسان، لذلك فعندما يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} (الرعد: ١١)، نرى أن الضمير في (يُغَيِّرُ) يعود إلى الله سبحانه وتعالى، والواو في قوله (يُغَيِّرُوا) يعود إلى البشر، فأية فاعلية إرادية حضارية أكبر من ذلك، وأي تكريم في مواضع وقوانين البشر يصل إلى مستوى ذلك؟ فهل يمكن بعد ذلك الإلقاء بتبعية التخلف الحضاري على الإسلام والإيمان بقضاء الله وقدره، بينما هو في حقيقته بسبب الانسلاخ عن الإسلام وانطفاء فاعلية المسلم، الذي تخاذل وبدأ يبحث عن مسوغات لتخلفه، ويجعل ذلك مسؤلية خارجة عن نفسه؟

٢- معرفة (الآخر) والإحاطة به عقيدة وتاريخاً وواقعاً، فالمتتبع لكثير من سور القرآن يجد أنها تحدثت عن (الآخر) بعقائده وعباداته وعلاقاته الاجتماعية وممارسته اليومية ومواقفه من النبوة وعواقب تصرفاته.

٣- إدراك أن الله قد كرم الإنسان عن سائر المخلوقات، حيث جعله حرّاً مختاراً، فهو المسؤول الأول عن الكسب والبناء والنهوض الحضاري، كما أنه المسؤول عن التخاذل والسقوط الحضاري؛ لأن المسؤولية فرع الحرية. وقضية التدين تعد أعلى درجات الحرية وأرقى مجالات الاختيار، يقول تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة: ٢٥٦) ذلك أن محل العقيدة القلب، ولا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الدليل والبرهان الذي يقود إلى الاختيار، والاختيار هنا الالتزام عن قناعة وطوعية. والإسلام لغة: انقياد "اختيار" وإذعان، فلن ينفع معه الإكراه، لأن الإكراه قد يصنع قناعاً مزيفاً ولكنه لا يحقق قناعة.

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم جوانب الوعي المرتبطة ببعد الدين، هي ضرورة إدراك الباحث المبتعث وإمامه بصورة العرب والمسلمين في دول العالم؛ ذلك لأن هذه الصورة السلبية المنمذجة هي أحد مصادر الوعي في هذه الدول وأدواته اللغوية بامتداداتها الفكرية والثقافية.

وقد وصف الجابري (٢٠١٢، ١٦٨ - ١٦٩) صورة الإسلام كما تصنعها وسائل الإعلام الغربية، بأنها صورة غير موضوعية، فالإسلام فيها لا يدل على دين أو حضارة بقدر ما يشير إلى نوع خاص من المسلمين هم تارة العرب وتارة "المهاجرون" وحيناً المتطرفون الأصوليون.

ولعل من الصور والمفاهيم المغلوطة عن الدين الإسلامي، ما أشار إليه زقروق (٢٠١٦، ١٥٩) بقوله: إن خصوم الإسلام يقولون: إن الدين هو سبب تخلف المسلمين، وما دام المسلمون متمسكين بهذا الدين فلن تقوم لهم قائمة، ويُقدّم هؤلاء النصح للمسلمين بأن يفصلوا فصلاً تاماً بين الدين والحياة، ويُبعدوا الدين تماماً عن التدخل في أمور الدنيا، ويتبعوا في هذا الصدد النموذج الغربي في تهميش الدين، هذا النموذج الغربي الذي أخذ بيد الغرب إلى الأمام، وجعله اليوم في مقدمة دول العالم حضارةً ورفقياً، وقد يكون الأخذ بالنموذج الغربي حتمياً في حالة ما إذا لم يكن لدى المسلمين خيارات أخرى تستند إلى ما لديهم من تراث ديني وحضاري عريق.

ويستعرض هذا البحث ما ورد عن صورة الدين الإسلامي وصور العرب والمسلمين النمطية السلبية في المناهج الدراسية في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وروسيا وألمانيا وكوريا والهند والبرازيل وإسرائيل، ولعل من أهم المفاهيم المغلوطة ما يأتي (مجموعة مؤلفين، ٢٠٠٣، ١١٤ - ١٨١):

١- الجهاد: صورة نمطية عن المسلمين، تصور هذه المجموعة من المسلمين على أنهم سفاحون إرهابيون محاربون متطرفون مقتصبون، حيث يفهم بعضهم الإسلام على هذا النحو: "يد ترفع الإسلام، وأخرى تمسك السيف".

٢- المرأة: ينظر إلى المرأة العربية على أنها مضطهدة من الرجال العرب والمسلمين، حريم مترفات، راقصات عاريات، سيدات جميلات يقعن في حب الرجل الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي، أسيرات المنازل، سلبيات، مخفيات العيون، غير متعلمات بلا وجوه ولا شخصيات ولا أصوات، حيث إنهم يتناولون قضية المرأة في الإسلام على النحو التالي:

- تحرير المرأة في العالم الإسلامي يسير ببطء شديد مقارنة بما هو عليه في الثقافات الأخرى.

- ما زالت الأسرة هي القاعدة الأساسية للمجتمعات المسلمة وما زالت المرأة تحت سلطة الرجل.

- تؤكد المناهج الدراسية أن من خصائص الإسلام البارزة: تعدد الزوجات وامتهان المرأة وحقوقها.

- التعصب والمعاملة السيئة للمرأة، مثل: إجبارها على الحجاب، ومنعها من المشاركة في أي نشاط مع الأجانب من الرجال، وفي حالة السفر يحتج إلى الإذن من الأب أو الزوج، معرضات للرجم في حالة الزنا، وعند المرض يجب عليهن الذهاب إلى طبيببة، ويستعملن مداخل مخصصة لهن في البيوت.

ويشير بترسون (٢٠١٠ ، ١٣٩) إلى أن الحياة الأسرية وأدوار الجنسين تتميز بالأنماط الإسلامية التقليدية، حيث سيطرة الذكورية التقليدية على نظام الأسرة، وحيث البيئات الأبوية دائماً التي يتم تحديها بطلب المساواة بين الجنسين، أو الدعوة إلى وجود أسر معيشية يرأسها أحد الآباء، وكذلك ترتيبات للمعيشة المشتركة بين الجنسين.

ينضح مما سبق، أن هناك صوراً نمطية وتشويهاً وتضليلاً وعدم محاولة معرفة الآخر وواقعه الحقيقي، حيث توجد أخطاء تتعلق بالثقافة العربية الإسلامية وبالعرب والمسلمين. ومن هذه الأخطاء: الجهاد الذي يقدم في الكتب المدرسية على أنه حرب مقدسة لنشر الإسلام بالقوة، ويقدم الرسول محمد على أنه رجل حرب، وبنفس الطريقة تقدم الشريعة الإسلامية، ووضع المرأة في الإسلام، ويقدم الإسلام على أنه دين استسلام بالمعنى السلبي، ويوصف الإسلام والعرب والمسلمون بالعنف والجهل وبالتخلف.

أوجه الإفادة من هذا المحور:

بناءً على التحليل السابق، فقد أمكن للباحث التوصل إلى بعض المؤشرات الدالة

على الوعي بمكون الدين بوصفه أحد مكونات الهوية الثقافية:

- إدراك أن الحرية في الدين الإسلامي لها ضوابط ومقيدة وليست انفلاتاً.
- إدراك أن الدين الإسلامي لم ينتشر بحد السيف، وأن الجهاد لا يعني نشر الإسلام بالقوة.
- إدراك أن الإسلام فيه حلول للمشكلات المجتمعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

- إدراك أن التصور الإسلامي يرفض الوطنية بمعناها المحصور في قطعة أرض، حيث إنه يعمل على توهين الهوية الإسلامية التي ذويت قوميات الأمم، والتي فتحتها في قومية واحدة هي القومية الإسلامية، والوطنية الإسلامية، ودمجتها جميعاً في أمة التوحيد.

- إدراك وضع المرأة في العالم العربي والإسلامي وعلاقته بالإسلام من خلال : تعدد الزوجات: هل تذكر آية التعدد كاملة مع التركيز على مفهوم العدل وأن الآيات القرآنية المتعلقة بالتعدد تأمر بالعدل وتشرطه وتوصي بواحدة وكذا وجود آية أخرى تشير إلى عدم استطاعة العدل بين النساء، أي أن القرآن يوصي بزوجة واحدة. ومن خلال ميراث البنت والولد: الإشارة إلى آية البقرة "ولهن مثل الذي عليهن" : فإذا كان نصيب المرأة أقل في الميراث فهذا يقابله واجبات وأعباء مالية أقل بعكس الرجل كما تجب الإشارة إلى وضع المرأة قبل وبعد الإسلام وفي المجتمعات الأوروبية حتى القرن العشرين.

- إدراك الحكمة من مشروعية الحجاب في المحافظة على المرأة وموقف الإسلام من احترام القوانين في الدول التي توجد فيها أقليات مسلمة والحالات الاضطرارية.

ينضح من هذه المؤشرات أن الفرد يمكن أن يوصف بأن لديه وعياً بالمكون الديني متى توفرت لديه تلك الإدراكات السابق ذكرها سواء الخاصة بطبيعة الدين الإسلامي أو الخاصة بالعلاقة المتبادلة بين الدين الإسلامي والمجتمع، ومثل هذه الإدراكات يراها الباحث من أبعاد الوعي بالهوية الثقافية.

٢- مكون اللغة العربية:

إذا كانت الثقافة هي مجموع القيم التي ارتضتها الجماعة لنفسها لتمييزها عن غيرها من الجماعات، فإن اللغة هي وعاء الثقافة، ومظهرها الخارجي الذي يميزها، ولغة المسلمين والعرب ليست مجرد لغة قومية كأية لغة أخرى، لكنها لغة دينية، بمعنى: أنه توحد حولها جميع المسلمين عرباً وجماعاً؛ إذ هي لغة القرآن الكريم.

وتمثل اللغة مكوناً مهماً من مكونات الهوية، فهي وعاء الفكر، وهي بمثابة البوتقة التي تجمع تراث الأمة، وتستوعب مقومات فكرها وثقافتها على توالي عصور التاريخ، فهي أداة التعبير ووسيلة التوصيل، وهي مادة التوثيق التي تضمن لفكر الأمة بقاءً وخلوداً. ولا شك أن الاهتمام باللغة يظل مؤشراً من مؤشرات الاهتمام بالقومية ذاتها، حيث نظل اللغة معبرة عن الوعي الجماعي للأمة، مرتبطة - كل الارتباط - بهوية أبنائها، معبرة عن وحدة

صفوفهم، ووحدة أهدافهم، ووحدة فكرهم في آن واحد (ربيع، ٢٠٠٩، ١٩٢؛ Zou, 2012, 466) وتبرز خصوصية اللغة العربية من ارتباطها الوثيق بحضارة الأمة العربية وتاريخها الحافل، فضلاً عن كونها لغة القرآن الذي شكّل أحد أهم عناصر نشرها.

واللغة أهم عوامل الترابط القومي بين أبناء الأمة الواحدة، حيث إن الاهتمام باللغة يعد من أهم الملامح القومية للأمم، فاللغة هي شخصية الأمة والرباط الجامع بين أبنائها، ذلك "أنها ليست مجرد أداة تواصلية محايدة وسلبية، بل هي كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات الهوية، وتطويرها أو - على العكس من ذلك - تدهورها وتحللها، إضافة إلى أنها أحد أركانها" (جبرون، ٢٠١٣، ٥٢). وتمثل اللغة الوعاء الحافظ للخصائص التي تتميز بها الأمة عن الأمم الأخرى. وهي في حال لغتنا العربية، تزيد؛ لأنها هي لسان الإسلام، الجامع لأكبر مقومات الانتماء الحضاري (عبد الله النديم: ٢٠١٦، ٤٦). وتعد العربية الفصحى أداة تشكيل الهوية بجميع عناصرها، وذلك بوصفها المترجم لثقافات الشعوب وتراثها، فاللغة تعبر عن فكر الأمم، وهذا الفكر تجلت نتيجته فيما أنتجته عقول أبنائه من تراث وماض وتاريخ مشترك، ولم يكن لهذه النتائج أن تظهر بغير اللغة؛ ومن ثم ترتبط هوية الفرد بذاكرة لغته، كما أن لغة الفرد تحدد هويته (محمود، ٢٠١٢، ١٥٧).

يتضح مما سبق العلاقة الدائرية بين اللغة والهوية، حيث إن اللغة تحفظ هوية الأمة، كما أن لغة الفرد تحدد هويته.

وثمة مؤشرات لا بد من توافرها حتى تحمل اللغة هوية الأمة، منها: إنتاج اللغة في مجال الفكر والثقافة، ودرجة التطور في اللغة ذاتها، والترجمة المتبادلة من اللغة وإليها، بالإضافة إلى قدرة اللغة على الاستجابة للمتغيرات في مجالات: العلم، والاقتصاد، والتكنولوجيا، وغير ذلك من مشكلات اللغة وصعوباتها في زمان غير زمانها (الكركي: ٢٠١٢، ٢٣). وإذا كان هذا شأن اللغة عموماً إزاء الهوية، فهل يستمر الوضع نفسه في حال دخول لغة أخرى غريبة عن "ذات الهوية" إلى مجالها السيادي من باب التعليم أو البحث العلمي؟

وتشير الدلائل إلى وجود عدة تحديات تواجه اللغة العربية، وتأتي في مقدمة التحديات اللغوية للعربية ما يلي (عبد الله النديم: ٢٠١٦، ٤٦):

١- تحدي اللغات الأوربية الزاحفة على الشرق العربي: وتتعدد مسالك تحدي اللغات الأوربية للغة العربية، منها تهجين العربية بالكلمات الأجنبية. وجعل هذه اللغات الأجنبية هي لغة التعليم في بلادنا، والدونية التي تجعلنا نتعلم لغات الأجانب لنتخاطب وإياهم بها في بلادنا، بدلاً من أن نجعلهم يتعلمون لغتنا باعتبارها ضرورة من ضرورات تعاملهم معنا في أوطاننا، مع جعل تعلمنا للغات الأجنبية سبيلاً لترجمة ما لدى الآخرين من علوم نحتاج إليها.

٢- تحدي اللغة العامية، التي يتوسل بها لإزاحة العربية من ثوابت الهوية الحضارية، تمهيداً لإزاحة الإسلام والقرآن والتراث؛ لتفقد الأمة عوامل استعصانها على التبعية والذويان في حضارة الغزاة.

ولعلّ من أخطر التحديات هي أن اللغة الإنجليزية أصبحت اللغة العالمية الأولى، وهناك عديد من اللغات المحلية تفرّض. وتجدر الإشارة إلى أن هناك (٧٠٠٠) لغة موجودة اليوم، وفي ظل النسبة الحالية لموت اللغات، حيث تموت لغة أو تندثر كل (١٤) يوماً، ومن المتوقع أن يبقى فقط نصف اللغات الموجودة اليوم بعد (١٠٠) عام (Enduring Voices, 2008).

ومن ثمّ، يعد التآمر على اللغة العربية من أساليب طمس الهوية الإسلامية؛ وذلك لشدة ارتباطها بالقرآن والإسلام، وأثرها في وحدة الأمة، وذلك عن طريق تشجيع اللهجات العامية، والمطالبة بكتابتها بالحروف اللاتينية، وتشجيع اللغات الأجنبية على حساب لغة القرآن الكريم، وتطعيم القواميس العربية بمفاهيم منحرفة، والطنع في كفاءة اللغة العربية وقدرتها على مواكبة التطور العلمي.

ومن أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية أن أنظمة التعليم الموجودة في معظم البلاد العربية قد فقدت اهتمامها لقضايا اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة، وكانت النتيجة حدوث فجوة قامت بين الإنسان العربي ولغته الجميلة، فعاش العربي وهو لا يتقن إلا العامية، وربما يتقن معها لغة أجنبية أو أكثر؛ وأدى هذا إلى تهوين أمر اللسان العربي بدعوى أنه صعب وغير صالح للحياة العصرية (ربيع، ٢٠٠٩، ١٩٤).

وفي هذا السياق، يشير أبو زيد (٢٠١٢، ٦٩) إلى أن الاهتمام باللغة العربية يقتضي ضرورة استخدامها في كل أنشطة الحياة وبخاصة الثقافية منها، ويوجه أخص التعليم؛ وذلك لأنها هي اللغة القومية التي يجب التمسك بها كعلامة على الانتماء ودليل على

الاعتزاز بالوطن ورموزه، بيد أن هذا كله لن يتيسر إلا عن طريق الترجمة والتعريب: تعريب المصطلحات العلمية، وتعريب التعليم وبخاصة التعليم الجامعي، ونقل أهم آثار الفكر العالمي إلى اللغة العربية، ولذا فإن الدعوة إلى استمرار تدريس العلوم بلغة غير اللغة العربية فيه إدانة لهذه اللغة القومية، وحكم عليها بالعجز عن أن تكون لغة علم، بل وحكم على العقل العربي ذاته ما دامت اللغة هي أداة التعبير عن الفكر، وهذا بلا شك يهدد الهوية، وينذر بالذوبان في ثقافة الآخرين.

وتعد قضية تعريب العلوم من القضايا المهمة في الحفاظ على هوية الأمة، وفي ظل حملات التعريب التي انتشرت في البلاد العربية بسبب التوسع في التعليم الأجنبي، والتوسع في التعليم باللغات الأجنبية خصوصاً في الكليات العلمية والتطبيقية، في ظل ثورة المعلومات والاتصالات التي تعتمد على اللغة الإنجليزية بصورة أساسية، يكون التعليم باللغة العربية في كل المستويات -بلا استثناء- واجباً قومياً (سليمان، ٢٠١٣، ١٢).

وثمة من يربط استخدام اللغات الأجنبية بالتطور العلمي والتكنولوجي، مثل: اللغة الإنجليزية وعجز اللغة الأم في تحقيق ما حققته اللغات الأخرى؛ وهذا أدى إلى الحط من شأنها والظعن في قيمتها وفي بنية الهوية وينتهي ذلك بضعف الانتماء للهوية لدى الفرد والجماعة. والحقيقة أن الأمر فيه مغالطة، فاللغة ليست هي المسؤولة عن النجاح والتفوق، وليس بين اللغة والتقدم الحضاري علاقة عليّة، فألمانيا وفرنسا والصين وغيرها تدرس بلغتها الأم لا بالإنجليزية وهي بلدان متقدمة في مصاف الدول الكبرى، فالتقدم الحضاري له شروطه الكثيرة الذاتية والموضوعية ومنه اللغة لا اللغة وحدها (بويكر، ٢٠١٦، ٤٠٧).

أوجه الإفادة من هذا العنصر:

ينضح مما سبق أن أهم المؤشرات الدالة على الوعي بمكون اللغة باعتباره مقوماً من مقومات الهوية الثقافية للمجتمع المصري ما يلي:

- إدراك أن اللغة العربية هي التي تحتضن الفكر العلمي.
- إدراك أن اللغة العربية خصبة، وتستطيع استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة.
- إدراك أن قضية تعريب التعليم لم تصبح قضية قومية فقط، بل هي شرط لازم لتنمية التفكير والإبداع.

- إدراك جهود العلماء المسلمين وإسهاماتهم في شتى العلوم المختلفة.

- تكوين اتجاه إيجابي نحو اللغة العربية، والاعتزاز باللغة العربية واستخدامها في الكتابة الأكاديمية والعلمية.

- القيام بترجمة المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية.

- المشاركة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٣- القيم والعادات الاجتماعية:

تمثل القيم والمعايير من العناصر الجوهرية التي تشكل ثقافة أي مجتمع وهويته، ويقصد بالقيم تلك الأفكار المجردة التي تحدد ما هو حسن ومرغوب فيه وما هو سيئ مرفوض، وهي متفق عليها بين غالبية أعضاء المجتمع، وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي. فالزواج الأحادي، أي قصر العلاقة الجنسية على شريك واحد في الحياة، يمثل إحدى القيم البارزة في أكثر المجتمعات الغربية، بينما تعدد الزوجات يمثل قيمة في المجتمعات الإسلامية (غدنز، ٢٠٠٥، ٨٢). ويرى الجزار (٢٠١١، ٥٧) أن الأنساق القيمية والخلقية تعبر عن هوية المجتمع وتؤسس صور الاتفاق العام بين الأفراد في اتجاهاتهم نحو الأمور، وهي بذلك تقوم بدور الرابط بين وحدات المجتمع على اختلاف مستوياته.

كما تؤدي القيم دورًا مهمًا في توجيه سلوك الفرد وتحديد توجهاته في المجتمع الذي يعيش فيه، كما تؤدي نفس الدور في تحديد سلوك الجماعة وتفاعلها الاجتماعي من خلال مختلف أشكال السلوك الاجتماعي، والقيم تنشأ من خلال تفاعل الفرد مع ثقافة مجتمعه أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تتغلغل في حياة الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتظهر في السلوك الظاهري والشعوري واللاشعوري؛ لذا فإنه من الصعب أن يفصل سلوك الفرد عن قيمه الخاصة وعن قيم المجتمع في أي موقف من المواقف، فكل اختيار أو عمل ينبغي أن يستند إلى تقبل صريح أو ضمني للقيمة التي يعتنقها الفرد. وتعد القيم المرتبطة بالزواج واختيار الشريك، وتحديد عدد الأبناء بالأسرة، من المواقف المهمة التي يقوم بها الفرد بعملية الانتقاء والتفضيل وفقًا لإطار قيمي محدد، كما أنها من أكثر المواقف التي يمثل فيها الموروث الثقافي دورًا في التأثير لتحديد الاتجاه والسلوك ونحوها (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٨، ٢٢-٢٣).

يتضح مما سبق أن الوعي بالقيم وإدراكها إدراكًا صحيحًا، ومن ثمّ الالتزام بها وممارستها هو حجر الزاوية في تحصين الهوية الثقافية لأفراد المجتمع؛ وذلك لأنها تمثل إطارًا مرجعيًا ينظم السلوك ويوجهه، وأحكامًا معيارية لتقييم سلوك الأفراد، فضلًا عن دورها في بناء المجتمع والحفاظ على وحدته وتماسكه.

وإذا كانت القيم الإنسانية تمثل أحكامًا عامة ومعايير إنسانية كونية تنطبق على جميع البشر في مختلف المجتمعات والجماعات، لكنها على الرغم من ذلك، فهي ليست واحدة في كل زمان ومكان، فالتفاعلات على أرض الواقع تتباين بصورة نسبية، وهنا تحمل القيم الاجتماعية طابع المجتمع والجماعة والبيئة المعيشية والتكنولوجية التي توجد فيها (المجلس القومي للسكان، ٢٠١٤، ٢٥).

وتنظم القيم سلوك الإنسان وتنظم علاقاته بالآخرين والواقع الاجتماعي المحيط به. وتختلف المنظومة القيمية من مجتمع إلى آخر، والذي يُعزى إلى تباين الموروث الثقافي، فضلًا عن اختلاف التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل مجتمع من المجتمعات، فهي التجسيد الحقيقي لثقافة المجتمع.

وتمارس القيم والعادات الاجتماعية والتقاليد والموروثات دورًا مؤثرًا في تحديد خصوصية كل مجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى من خلال:

- القيم الأسرية: التي تعبر عن أنماط الزواج، ومكانة المرأة ونظرة المجتمع لها ولأدوارها.
- قيم المواطنة: ولعل من أهم مظاهرها: الاعتزاز بالرموز الوطنية، الالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة، المحافظة على ثروات الوطن وممتلكاته، وتشجيع المنتجات الوطنية، والدفاع عن الوطن، والتمسك بالنظم والأعراف المجتمعية، وكذلك احترام النشيد الوطني، والعلم، والمشاركة في الاحتفالات الوطنية والشعبية.

وجدير بالذكر أن العادات الاجتماعية لها دور في تنظيم سلوك الإنسان وتوجيهه. فالإنسان (كما يقال) حيوان مقوم. ويتجلى نشاطه التقويمي العفوي أو الواعي في أنماط سلوك يألفها، ويكررها، ويألفها الناس من حوله فيعرفونه بها، أو يعرفونها به، وإن تكررهما يكسبها حلة العادة. وقد قيل: إن الإنسان حزمة من العادات تمشي على قدمين. وتسمى طرق التصرف التي يقرها المجموع بالعادات الجمعية أو عادات المجتمع. وتوجد في كل

مجتمع طرق متفق عليها لتناول الطعام وإجراء المحادثة والالتقاء في الحفلات وطلب يد الفتيات للزواج وغيرها (العوا، ١٩٨٦، ١١).

وتختلف القيم عن العادات الاجتماعية، حيث يعني مصطلح العادات الاجتماعية كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيًا، ويتعلم اجتماعيًا، ويتوارث اجتماعيًا. فهي ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبًا اجتماعيًا بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا بالحياة في المجتمع والتعامل مع أفراد وجماعاته، ومن أمثلة العادات الاجتماعية التي توضح الأسلوب الاجتماعي في التصرف : طرق الخطبة والزواج، وإقامة الحفلات وغيرها (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنايية، ٢٠٠٨، ٢٥). وعادات وتقاليد متبعة عند الميلاد والزواج والوفاة، وعادات وتقاليد المناسبات الدينية والمراسم الزراعية.

أوجه الإفادة من هذا المحور:

تم تحديد القيم والعادات الاجتماعية التي ينبغي أن تتوافر لدى المبتعث للدراسة بالخارج، والممارسات الدالة على ذلك، ولعل من أهمها:

أ- الالتزام بأداء المظاهر التي تدل على الانتماء لتاريخ الوطن وعاداته وتقاليله، من التمسك بالنظم والأعراف المجتمعية، وكذلك احترام النشيد الوطني، والعلم، والمشاركة في الاحتفالات الوطنية والشعبية.

ب - التمسك بمنظومة المعتقدات والعادات: ويعنى جملة المفاهيم والقيم والمعتقدات التي يتبناها الأفراد، والتي يسعى إلى تفعيلها إلى سلوك في حياته.

ج- القيم الأسرية: تم قياس وجهات نظر المبحوثين حول القيم الأسرية باستخدام مؤشرات مرتبطة بمفهوم الزواج.

د- قيم المواطنة: وتعنى سعي الفرد إلى الاعتزاز بالمنتجات الثقافية المصرية، مع الاعتزاز بأنها كلها متجانسة، وجمعها نسيج واحد ومتفقه في أصولها.

ثانياً - الدراسة الميدانية:

١- أداة البحث وتقنياتها:

أشار عبد العال وآخرون (٢٠١٤، ١٠) إلى أن استطلاعات الرأي والمقاييس، وتحليل المضمون، وتحليل الخطاب، والإثنوجرافيا هي أكثر الأساليب شيوعًا لقياس الهوية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث قد استخدم مقياسًا للهوية الثقافية، وذلك للمبررات الآتية:

- تمثل المقاييس العمود الفقري لمعظم البحوث المتعلقة بالرأي العام، حيث يعطي تطبيقها مع عدد كبير من الأشخاص معلومات يصعب الحصول عليها باستخدام أي مناهج بديلة.
- تتميز المقاييس بميزة واضحة، وهي إتاحة الفرصة للباحث المهتم لطرح الأسئلة المتعلقة بمضمون الهوية وجدلياتها طرحًا مباشرًا.
- تسمح المقاييس للمستجيبين الذين تُستطلع آراؤهم بطرح مفاهيم بشأن مَنْ يكونون، وما يهمهم، وكيف يقررون من الذي يدخل أو لا يدخل ضمن جماعتهم، من دون أي تصنيف قائم على التحيزات أو التفسيرات المسبقة للباحث.
- تستكشف المقاييس مضمون الهوية بشكل مباشر إلى حد لا بأس به، حيث تلجأ إلى أسئلة تعد بمنزلة بحث مباشر في السمات والمواقف والممارسات التي يذكرها المستجيب بنفسه، معتقدًا أنها تعبر عن هوية العضو المنتمي إلى جماعة اجتماعية معينة.
- ومن هنا فقد تمثلت أداة هذا البحث في مقياس الهوية الثقافية للطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج، وقد تم إعداد هذه الأداة والتأكد من صلاحيتها للقياس من خلال الخطوات الآتية:

١- بناء المقياس:

- استند الباحث في بنائه هذا المقياس إلى ما طرحته الدراسة في إطارها النظري عن الهوية الثقافية للمجتمع المصري، بالإضافة إلى إطلاعه على الأدبيات والأبحاث المتعلقة بصورة الذات والآخر، حيث استخلص الباحث من الإطار النظري والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الهوية ثلاثة أبعاد، هي: (الدين، اللغة، القيم والعادات الاجتماعية، ويندرج تحت كل بُعد عدة مؤشرات فرعية تدل على مدى وعي الطالب المبتعث بمقوم من مقومات الهوية الثقافية، فقد جاءت على النحو التالي:
- بعد الدين: روعي في هذا المقياس أن يتم فحص أهمية الدين في حياة الأفراد والمجتمعات، ومدى ملائمة التعليمات الدينية في تناول المشكلات المجتمعية.
 - بعد اللغة: يتعلق بتعلم اللغة السائدة في دولة الابتعاث، والاتجاه نحو اللغة الأم، وعلاقتها بالعلوم المعاصرة، وبعض القضايا والتحديات المرتبطة بها مثل: تعريب التعليم.
 - بُعد القيم والعادات: يتعلق هذا البعد بتبني أهم الاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع المضيف (دولة الابتعاث)، ويتضمن تأثير المبتعثين بالأنماط الثقافية السائدة في مجتمع

دولة الابتعاث، وربما يتضمن هذا بعض السمات المختلفة، مثل: اكتساب الأنماط العامة للسلوك، وكيفية الملابس، وعادات الطعام، وتقاليده تناول الطعام. تم بناء الاستبانة في صورتها الأولية، وكانت مكونة من (٥٢) مفردة، بحيث كان عدد المفردات في أبعاد الاستبانة (١٧، ٢٠، ١٥) وفق الترتيب السابق للأبعاد، على أن يطلب من الباحث المبتعث إبداء استجابته باختيار أحد البدائل المبينة في الجدول:

جدول (١) قيمة أوزان الاستجابة على كل بديل

درجة الموافقة					العبارات
معارض بشدة	معارض	غير متأكد	موافق	أوافق بشدة
١	٢	٣	٤	٥	العبارات الموجبة
٥	٤	٣	٢	١	العبارات السالبة

٢- التأكد من صدق المقياس:

اعتمد هذا البحث على صدق المحكمين للتحقق من صدق المقياس، وذلك بعرضه في صورته المبدئية على مجموعة من السادة المحكمين (أحد عشر محكمًا)، وذلك بغرض إبداء الرأي والتأكد من:

- مدى انتماء العبارة للمحاور الرئيسية.

- دقة الصياغة اللغوية.

- مقترحات أخرى بالإضافة أو الحذف أو الاستبدال.

وقد جاءت معظم آراء السادة المحكمين بالموافقة على صلاحية الأداة لجمع البيانات والمعلومات التي أعدت من أجلها، وبناءً على هذه الآراء قام الباحث بإجراء التعديلات الآتية:

- استخدام همزة المضارعة في بداية كل مفردة.

- حذف أسماء المحاور من المقياس؛ تفاديًا لتحيز الباحث لمفردات المحور خاصة المحور الخاص بالدين.

- ترتيب مفردات المحاور ترتيبًا عشوائيًا.

- مراعاة التدرج في مفردات المقياس، حيث تم تقديم المفردات الخاصة بقياس البعد المعرفي للوعي تليها المفردات الخاصة بالبعد الوجداني ثم البعد السلوكي.

- إجراء التعديلات الموضحة في الجدول التالي:

جدول (٢) التعديلات التي تم إجراؤها على المقياس وفق آراء السادة المحكمين.

التعديل	العبرة قبل التعديل
أحكم على أفكاري وأفكار الآخرين وفق معتقداتي الدينية.	معتقداتي الدينية هي معياري في الحكم على أفكار الآخرين.
أتقن اللغة العربية الفصحى في مجالي التحدث والكتابة الأكاديمية.	أتقن اللغة العربية الفصحى في مجال الكتابة الأكاديمية.
أشعر بالفخر لكوني مصرياً.	أنا فخور لكوني مصرياً.
أرى ضرورة تعريب التعليم في الجامعة.	أرى ضرورة تعريب التعليم في الجامعة، واستخدام اللغة العربية في تدريس مختلف المقررات.
تؤدي سيطرة الدين على شئون الحياة إلى التخلف وعدم مواكبة العصر.	سيطرة الدين على الحياة ربما تؤدي إلى عدم مواكبة العصر والتطور.
أشعر بالاعتزاز عندما أتحدث باللغة العربية.	أحب اللغة العربية وأشعر بالاعتزاز عندما أتحدث بها.
أتحدث عن وطني معتزاً بأمجاده أمام الآخرين.	أتحدث عن وطني بشكل إيجابي أمام الآخرين.
يتوافق التزام الفتاة بالحجاب مع المدنية العصرية.	التزام الفتاة بالحجاب لا يتعارض مع المدنية العصرية.
استخدام الكلمات الأجنبية يضيء عليّ نوعاً من التميز مقارنة بأقراني.	استخدام المصطلحات الأجنبية يضيء نوعاً من التميز عن أقراني.
أدرك مكانتي باعتباري سفيراً لبلدي في بلد الابتعاث.	أحاول أن أعطي صورة جيدة عن وطني للأجانب.
أشعر بالحرية في الدولة المبتعث إليها مقارنة بما أشعر به في وطني.	أشعر بالحرية في الدولة المبتعث إليها عنها في وطني.
الجهاد يعني فرض الإسلام بالقوة.	الجهاد فرض الإسلام بالقوة.
أرى أن الإسلام يشجع على تقزيم وضع المرأة.	أرى أن الإسلام يشجع على تدني وضع المرأة.
صراع الحضارات يحتم علينا مواجهة كل الأفكار الوافدة.	صراع الحضارات يحتم علينا مقاومة كل الأفكار الوافدة.

تم تطبيق المقياس على عينة من الباحثين المبتعثين بهدف التأكد من صلاحيته للتطبيق من خلال التأكد من فهم المبتعثين لمفردات الاستبانة وتعليماتها، والكشف عن تحقق الشروط السيكمترية في القياس، وكان قوام عينة التجريب (٢٠) باحثاً. مع مراعاة عكس اتجاه تصحيح المفردات السالبة في المقياس بحيث تتحول الدرجات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) إلى الدرجات (٥، ٤، ٣، ٢، ١).

٣- التأكد من ثبات المقياس: وذلك من خلال حساب معامل ألفا كرونباخ للمقياس، وكانت قيمة معامل ألفا (٠,٧٦)، وهي قيمة مقبولة للتعبير عن ثبات المقياس في ضوء ما أكده علام (٢٠٠٢، ١٦٦) عندما أوضح أن معامل ألفا يعطي الحد الأدنى للقيمة التقديرية لمعامل الثبات.

٤- إعداد الصورة النهائية للمقياس، وبذلك أصبح المقياس مكوناً من (٤٧) مفردة، وأصبح عدد مفردات كل بُعد من أبعاد المقياس (١٥، ١٣، ١٩) بينها (٦، ٥، ٨) مفردات سالبة، وذلك وفق الترتيب السابق للأبعاد. وتمثلت المفردات السالبة في البعد الأول في المفردات (١٦) -

٢٥ - ٢٨ - ٣٧ - ٤٠ - ٤١)، وتمثلت المفردات السالبة في البعد الثاني في المفردات (٨ - ٢٠ - ٢٣ - ٢٦ - ٢٩)، كما تمثلت المفردات السالبة في البعد الثالث في المفردات (٢٤ - ٣٠ - ٣٦ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧).

٥- تطبيق المقياس:

تمّ تطبيق مقياس الهوية الثقافية للباحثين المبتعثين للدراسة بالخارج، واستعان الباحث بموقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك (صفحة الشباب المتقدمة للبعثات)، وكذلك مراسلة بعض الباحثين من خلال البريد الإلكتروني، فضلاً عن بعض المقاييس التي تم تطبيقها يدوياً، وذلك في الفترة من ٢٠١٧/١٠/٠٧ لمدة شهرين متتاليين حتى ٢٠١٧/١٢/٧.

وتكونت العينة من ٨١ باحثاً مبعثاً من الجامعات المصرية المختلفة إلى بعض الجامعات الأمريكية والبريطانية واليابانية والكورية، وتضمنت عينة البحث بعض الكليات العلمية والعملية، وهي كليات: الهندسة والطب والعلوم والصيدلة، وبعض الكليات الأدبية والنظرية وهي: كليات الألسن والتربية.

٦- تحليل البيانات والمعالجة الإحصائية:

تم تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً من خلال ثلاث خطوات:

- ١- تم تفرغ استجابات عينة البحث، حيث تم حساب تكرار الاستجابة لكل بديل من البدائل الخمسة، وأعطيت الدرجات الاعتبارية لكل بديل، وكانت (١، ٢، ٣، ٤، ٥)، مع مراعاة عكس اتجاه تصحيح المفردات السالبة في المقياس بحيث تتحول الدرجات إلى (٥، ٤، ٣، ٢، ١).
- ٢- تم حساب متوسط استجابات عينة البحث لكل مفردة، ولكل بعد من أبعاد المقياس، ثم حساب الوزن النسبي للمتوسط من خلال المعادلة:

$$\text{الوزن النسبي للمتوسط} = \frac{\text{المتوسط}}{\text{عدد المفردات} \times \text{قيمة أكبر استجابة}} \times 100$$

- ٣- تم اعتماد ثلاثة مستويات لتحديد مستوى الوعي لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للخارج، وذلك وفق النسب المئوية والمتوسطات الآتية:

- ٧٥% فأكثر، تعني مستوى وعي عال، وهو ما يعادل المتوسط الحسابي ٣,٧٥.

- ٥٠% إلى أقل من ٧٥%، تعني مستوى متوسط من الوعي، وهو ما يعادل المتوسط الحسابي (٢,٥ إلى أقل من ٣,٧٥).

- أقل من ٥٠%، تعني مستوى وعي منخفض، وهو ما يعادل المتوسط الحسابي أقل من ٢,٥.

ثالثاً - نتائج البحث وتفسيرها:

يتناول هذا الجزء من البحث عرضاً تحليلياً للنتائج الإحصائية التي توصل إليها الباحث من معالجة استجابات العينة، وذلك للإجابة عن السؤال الثاني: "ما مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات المصرية المبتعثين للخارج؟" ويبين جدول (٣) تقدير استجابات أفراد عينة البحث على كل بُعد من أبعاد الهوية الثقافية الثلاثة، وعلى المقياس ككل. وقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي للبيانات انخفاض مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى عينة البحث عن حد الكفاية المحدد بالبحث ٧٥%، حيث لم تتجاوز متوسطات استجابات العينة قيمة المتوسط المقبولة (٣,٧٥) والنسبة المناظرة له (٠,٧٥%).

جدول (٣) المتوسط والمتوسط النسبي لأبعاد المقياس والمقياس ككل

البعد	عدد العبارات	المتوسط	الوزن النسبي للمتوسط	مستوى الوعي
الدين	١٥	٣.٦٥	٠.٧٣%	متوسط
اللغة	١٣	٣.٥١	٠.٧٠%	متوسط
القيم والعادات الاجتماعية	١٩	٣.٥٤	٠.٧١%	متوسط
الكلي	٤٦	٣.٥٦	٠.٧١%	متوسط

ويتضح من جدول (٣) أن مستوى وعي عينة البحث بالهوية الثقافية ككل وبأبعادها الفرعية جاءت جميعها متوسطة، حيث بلغ المتوسط الكلي (٣,٥٦) بوزن نسبي (٠,٧١%)، وجاءت جميع أبعاد الهوية الثقافية في المستوى المتوسط كذلك إذ تراوحت المتوسطات الحسابية بين (٣,٥١ : ٣,٦٣) بينما تراوحت الأوزان النسبية لمتوسطاتها بين (٧٠%، ٧٣%)، وكان أعلى هذه المستويات البعد الأول الخاص بالدين فقد كان الوزن النسبي لمتوسط درجات عينة البحث عنه (٧٣%)، ثم يليه البعد الخاص بالقيم والعادات الاجتماعية بنسبة (٠,٧١%)، ثم جاء في المرتبة الأخيرة البعد الخاص باللغة العربية بنسبة (٠,٧٠%). وربما يرجع ذلك لأن مكونات الهوية التي يتم اكتسابها خلال التنشئة الأولية وهي الخاصة بالدين عادة تكون منوثة للتغيير. ولكي تتضح الصورة الكاملة لاستجابات أفراد عينة

البحث على مفردات مقياس الهوية الثقافية، يُعرض فيما يلي النتائج التفصيلية لكل بعد من الأبعاد كل على حدة:

(١) - البعد الأول: بعد الدين:

جدول (٤) المتوسط والمتوسط النسبي لمفردات بعد الهوية الدينية

م	العبارات	درجة الموافقة					المتوسط	الوزن النسبي للمتوسط	مستوى الوعي
		أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	معارض	معارض بشدة			
١	أحکم على أفكاری وأفکار الآخرين وفق معتقداتي الدينية.	٣٣	٢٨	٩	٨	٣	٣.٩٩	٠.٨٠	مرتفع
٤	التراث الديني يقدم حلولاً لمعظم مشكلاتنا المعاصرة.	٤٨	٢١	٩	٣	٠	٤.٤١	٠.٨٨	مرتفع
٧	تؤدي سيطرة الدين على شئون الحياة إلى التخلف وعدم مواكبة العصر.	٣	٣	٠	٢١	٥٤	٤.٤٨	٠.٨٩	مرتفع
١٠	يكون ولائي لمن يملك نفس الدين وإن اختلف موطنه.	١٢	٢٤	١٢	٢٤	٩	٣.٠٧	٠.٦١	متوسط
١٣	يمثل الابتعاد عن استخدام ألفاظ أجنبية في التحية (مثل: هالو، هاي) واجباً دينياً.	٩	١٥	١٢	٣٠	١٥	٢.٦٧	٠.٥٣	متوسط
١٦	يمثل الاختلاط بين الطلاب والطالبات في الجامعات ضرورة في ظل الظروف الاجتماعية الراهنة.	٩	١٥	١٢	٢٧	٢١	٣.٥٥	٠.٧١	متوسط
١٩	الإنسان حر في أقواله وأعماله ما لم يرد نص شرعي لتقييد ذلك.	٢٨	٢٥	٧	١٢	٩	٣.٦٢	٠.٧٢	متوسط
٢٢	يتوافق التزام الفتاة بالحجاب مع المدنية العصرية.	٤٢	٣٠	٣	٣	٣	٤.٣٠	٠.٨٥	مرتفع
٢٥	شيوخ فكرة الحب وبناء علاقة مع الجنس الآخر قبل الزواج ضرورة في العصر الحاضر.	٣٤	١٥	٧	١١	١٤	٢.٤٦	٠.٤٩	منخفض
٢٨	أسعى جاهداً لتحقيق أهدافي بأية وسيلة.	٦	١٨	٣٩	١٨	٠	٢.٨٥	٠.٥٧	متوسط
٣١	المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق المدنية ضرورة لتقدم المجتمع.	٢٧	١٩	١٣	٧	١٥	٢.٥٦	٠.٥١	متوسط
٣٤	أرفض القول: إن مبادئ الإسلام تعارض مبادئ الحضارة.	٥٧	٩	٣	٦	٦	٤.٣٠	٠.٨٦	مرتفع
٣٧	الجهاد يعني فرض الإسلام بالقوة.	٣	٣	٣	١٥	٦٠	٤.٥٥	٠.٩١	مرتفع
٤٠	أرى أن الإسلام يشجع على تقريم وضع المرأة.	٣	٦	٦	١٥	٥٧	٤.٤٤	٠.٨٨	مرتفع
٤١	تحرير المرأة في العالم العربي يسير ببطء شديد مقارنة بما هو عليه في الثقافات الأخرى.	٦	١٢	١٨	٢٤	٢١	٣.٥١	٠.٧٠	متوسط

يلاحظ من جدول (٤) أن ثماني (٨) مفردات من أصل (١٥) مفردة في بعد الدين قد

احتلت أعلى من المتوسط (٣,٧٥) حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٠,٨٠ : ٠,٩١). وهذه

المفردات تمثل ٣,٥٣% من مجموع مفردات هذا البعد، وأن هناك مضامين (٤) أربع مفردات جاءت في مستوى الوعي المتوسط حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٥٥) إلى (٢,٨٥)، في حين أن هناك مفردتين كانتا بدرجة أقل من المتوسط وجاءت قيمة متوسطاتهما (١,٦٦). وهذا يبين أن هناك انخفاضاً في بعض مؤشرات الوعي بمكون الدين في (٧) سبع مفردات تشكل (٤٦,٧%) من مفردات هذا البعد.

باستقراء نسب متوسطات استجابات العينة يتضح تدني مستوى الوعي بالجانب المعرفي بمكون الدين باعتباره أحد مكونات الهوية، ويتضح ذلك من خلال استجابات العينة على بعض المفاهيم الدينية، فقد بلغت نسبة متوسط الاستجابة بالمفردة الخاصة "الإنسان حر في أقواله وأعماله ما لم يرد نص شرعي لتقييد ذلك" (٣,٦٢)، بمفهوم المواطنة هي: يكون ولائي لمن يملك نفس الدين وإن اختلف موطنه (٣,٠٧)، والمفردة الخاصة بمفهوم التحية في الإسلام " يمثل الابتعاد عن استخدام ألفاظ أجنبية في التحية (مثل: هالو، هاي) واجباً دينياً" بنسبة متوسطة استجابة (٢,٦٧) بمستوى وعي متوسط. بينما جاء مستوى الوعي بمفهوم الجهاد مرتفعاً، وهي الجهاد يعني فرض الإسلام بالقوة (٤,٥٥)، حيث تجاوزت المتوسط (٣,٧٥).

ويمثل تدني مستوى البعد المعرفي للوعي بالهوية الثقافية نوعاً من الوعي الزائف ، حيث يعرف الوعي الزائف أو الغائب بأنه: فقد الفرد القدرة على إدراك الواقع أو الإحساس به، نتيجة فقدته للمعارف والتصورات المطلوبة، أو امتلاكه لمجموعة من المعلومات أو التصورات الزائفة عبر وسائط التربية المختلفة (خليفة وعبد الله، ٢٠٠٢، ٢٠٣). وتشير دراسة عبد الصمد (٢٠٠٥، ١٦) إذا لم يتوافر الجانب المعرفي لدى الشخصية؛ لا يتأتى الجانب الوجداني والإرادي؛ لأن الشخص الذي تذوب شخصيته أو تنصهر في القطب الجاذب للعلامة، يفقد مقومات شخصيته الوطنية، كما يفقد هويته وولاءه وانتماءه.

وتجدر الإشارة إلى أن افتقاد الجانب المعرفي يؤثر على الأداء السلوكي (التطبيقي)، حيث إن مفتقدي الجانب المعرفي في البعد الديني إما لا يطبقون هذه المعارف أو يطبقونها بطريقة خاطئة.

كما تشير نتائج التحليل الإحصائي إلى ارتفاع مستوى الجانب الوجداني في مكون الدين، وهذا يدل على وجود اتجاه إيجابي نحو الدين، فقد جاءت المفردات الخاصة بالبعد

الوجداني التي تتناول أهمية الدين في حياة الفرد، واتجاه عينة البحث نحو مدى ملائمة التعليمات الدينية في مواجهة المشكلات المجتمعية، وتعد هذه المفردات كمؤشر للتفضيل بين المجتمع الديني والمجتمع العلماني، فقد أكدت استجابات العينة تحققها بمستوى عال، حيث بلغت نسبة متوسط الاستجابة للمفردة (١) أحكم على أفكاري وأفكار الآخرين وفق معتقداتي الدينية (٣,٩٩)، وبلغت نسبة متوسط الاستجابة للمفردة (٢) التراث الديني يقدم حلاً لمعظم مشكلاتنا المعاصرة (٤,٤١)، وقد تحققت المفردة رقم (٧) "تؤدي سيطرة الدين على شئون الحياة إلى التخلف وعدم مواكبة العصر" بمستوى عال جداً حيث بلغت (٤,٤٨)، ورفض القول: إن مبادئ الإسلام تعارض مبادئ الحضارة (٤,٣)، وكذلك جاءت المفردة "أرى أن الإسلام يشجع على تقييد وضع المرأة" بنسبة متوسط استجابة (٤,٤٤) مرتفعة جداً، مما يدل على أنه لا يوجد تأثير ذي دلالة على اتجاه المبتعثين نحو أهمية الدين بالنسبة للفرد والمجتمع.

وربما يرجع ذلك إلى أن الأبعاد القيمية التي تم التشبع بها أثناء فترة التنشئة الأولية خلال فترة الطفولة وأوائل المراهقة المبكرة من الصعب تغييرها نتيجة العيش في الدول المبتعث إليها الباحثون، ومن ثم تقاوم التغيير القيمي بالنسبة للتوجهات الدينية.

وتشير نتائج التحليل الإحصائي الواردة بجدول (٤) إلى تدني مستوى السلوك الديني والالتزام الديني، فقد جاءت خمس مفردات من أصل ست مفردات مرتبطة بالجانب السلوكي في بعد الدين بدرجة أقل من المتوسط المقبول (٣,٧٥)، وهي المفردات: يمثل الاختلاط بين الطلاب والطالبات في الجامعات ضرورة في ظل الظروف الاجتماعية الراهنة بنسبة متوسط استجابة (٣,٥٥)، تحرير المرأة في العالم العربي يسير ببطء شديد مقارنة بما هو عليه في الثقافات الأخرى (٣,٥١)، المفردة (٢٨) "أسعى جاهداً لتحقيق أهدافي بأية وسيلة" بنسبة متوسط استجابة (٢,٥٨)، و"المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق المدنية ضرورة لتقدم المجتمع" بنسبة متوسط استجابة (٢,٥٦)، شيوع فكرة الحب وبناء علاقة مع الجنس الآخر قبل الزواج ضرورة في العصر الحاضر (٢,٤٦). وجاءت مفردة واحدة أكبر من المتوسط المقبول، وهي "يتوافق التزام الفتاة بالحجاب مع المدنية العصرية" بنسبة متوسط استجابة (٤,٣٠).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تناقضًا بين القول والفعل، وما يؤكد ذلك أن ٨٣% من مفردات الجانب السلوكي قد طرأ عليها تغيير، وهذا يدل على أن تعرض المبتعثين للخارج إلى متغيرات ثقافية خارجة عن إطار الثقافة الأصلية؛ قد أسهم في هذا التغيير السلوكي، وأن الاتساق مع ما يطرأ على بعض الأنماط السلوكية كان سريعًا. فقد اختارت عينة البحث الأنماط الثقافية المسيطرة في بيئات دول الابتعاث خاصة بالموضوعات الدينية التي لها علاقة بالأمور الاجتماعية مثل: الزواج والاختلاط والحجاب، وتركوا وجهات النظر المحافظة التي عادة ما توجد في وطنهم الأم. وربما يرجع ذلك إلى أن دول الابتعاث تظهر مواقف أكثر تفضيلاً للحرية المطلقة ومساواة النوع الاجتماعي، وذلك في اتجاه يتسق مع القيم الغربية ويختلف مع قيم الإسلام؛ وربما يفسر ذلك بمحاولة الطلاب المبتعثين للدراسة بالخارج للتكيف مع القيم الاجتماعية التي تسود هذه الدول.

واستناداً إلى هذه النتائج يمكن القول إن الجانب الوجداني للوعي بالمكون الديني يتحقق بمستوى عال، في حين أن الجانبين المعرفي والسلوكي (الالتزام الديني) يتحققان بمستوى متوسط؛ وتلك النتيجة تشير إلى ضرورة تنمية الجانبين المعرفي والسلوكي ببعد الدين لدى الطلاب المبتعثين للخارج.

(٢) - البعد الثاني: بعد اللغة:

جدول (٥) المتوسط والمتوسط النسبي لمفردات بُعد الهوية اللغوية

م	العبارات	درجة الموافقة					متوسط	متوسط النسبي	مستوى الوعي
		٥	٤	٣	٢	١			
٢	اتفق اللغة العربية الفصحى في مجالي التحدث والكتابة الأكاديمية.	٠	٠	٩	٤٨	٢٤	٤,١٨	٠,٨٤	مرتفع
٥	أرى ضرورة تعريب التعليم في الجامعة.	١٢	٢١	١٨	١٢	١٨	٣,٢٢	٠,٦٤	متوسط
٨	أعتقد أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب وملاحقة المصطلحات العلمية الحديثة.	٢٧	١٨	١٨	١٢	٦	٣,٥٩	٠,٧٢	متوسط
١١	أعرف جهود العلماء العرب وإسهاماتهم في مجال تخصصي.	٠	٦	١٥	٣٦	٢٤	٣,٩٦	٠,٧٩	مرتفع
١٤	أشعر بالاعتزاز عندما أتحدث باللغة العربية.	٠	٠	٣	٣٩	٣٩	٤,٤٤	٠,٨٩	مرتفع
١٧	أرفض استخدام المصطلحات المعربة (الفرانكوأراب) في مجال تخصصي، مثل: كاتسر للسرطان، الأنثيبوتكس للمضاد الحيوي، وغيرها.	٩	٢٤	٦	٣٠	١٢	٣,١٥	٠,٦٣	متوسط
٢٠	تأكد لدي أن اللغات الأجنبية هي التي تحتضن الفكر العلمي المعاصر.	٣	٦	١٨	١٨	٣٦	١,٨٨	٠,٣٨	منخفض
٢٣	أفضل أن تكون اللغة الإنجليزية لغة التدريس الرئيسية بالجامعة.	١٢	١٨	٦	١٨	٢٧	٢,٤٨	٠,٤٧	منخفض
٢٦	استخدام الكلمات الأجنبية يضيف عليّ نوعاً من التميز مقارنة بأقراني.	٣٠	٢٧	١٢	٦	٦	٣,٨٥	٠,٧٧	مرتفع
٢٩	أرى أن التحدث بلغة أجنبية مظهر حضاري.	٩	٣٦	٩	٢٤	٣	٣,٢٩	٠,٦٦	متوسط
٣٢	التمسك باللغة الأم مظهر أساسي من مظاهر احترام القومية والوطنية.	٠	٣	٦	٢١	٥١	٤,٤٨	٠,٨٩	مرتفع
٣٥	أشارك في ترجمة بعض المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية.	٩	٣	٢١	٣٠	١٨	٣,٥٦	٠,٧١	متوسط
٣٨	أشارك في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.	٩	٣	١٨	٣٠	٢١	٣,٦٣	٠,٧٣	متوسط

يلاحظ من جدول (٥) أن خمس (٥) مفردات من أصل ١٣ مفردة في بعد اللغة بلغت قيمتها أعلى من المتوسط (٣,٧٥) حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٨٥ و ٤,٤٨). وهذه المفردات تمثل ٣٨% من مجموع مفردات هذا البعد، وأن هناك (٤) أربع مفردات جاءت في مستوى الوعي المتوسط حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,١٥) إلى (٣,٦٣)، في حين أن هناك مفردتين كانتا بدرجة أقل من المتوسط وجاءت قيمة متوسطاتهما (٢,٤٨)،

(١,٨٨). وهذا يبين أن هناك انخفاضاً في بعض مؤشرات الوعي بمكون اللغة في (٨) ثماني مفردات تشكل ٦٢% من مفردات هذا البُعد.

وتشير نتائج التحليل الإحصائي إلى وجود وجود اتجاهات غير موجبة تجاه اللغة العربية، ونفورهم من اللغة العربية، فقد جاءت ثلاث مفردات في مستوى متدن من الوعي، حيث جاءت متوسطات الاستجابة عليها (١,٨٨ ، ٣,٢٩ ، ٣,٥٩)، وهي على التوالي: "تأكد لديّ أن اللغات الأجنبية هي التي تحتضن الفكر العلمي المعاصر"، و"أرى أن التحدث بلغة أجنبية مظهر حضاري"، و"أعتقد أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب وملاحقة المصطلحات العلمية الحديثة". وجاءت ثلاث مفردات في المستوى الأعلى من الوعي، وهي: "استخدام الكلمات الأجنبية يضيف عليّ نوعاً من التميز مقارنة بأقراني" (٣,٨٥)، "أشعر بالاعتزاز عندما أتحدث باللغة العربية" (٤,٤٤)، "التمسك باللغة الأم مظهر أساسي من مظاهر احترام القومية والوطنية" (٤,٤٨) حيث جاءت استجاباتهم عليها بصورة مرتفعة جداً.

وقد أثر الاتجاه السالب نحو اللغة العربية على اتجاه عينة البحث نحو التزامهم باللغة العربية في حياتهم الاجتماعية والتعليمية، فقد بلغت نسبة متوسط الاستجابة على المفردة: أرفض استخدام المصطلحات المعربة (الفرانكوارب) في مجال تخصصي، مثل: كانسر للسرطان، الأنتيبايوتكس للمضاد الحيوي (٣,١٥)، وجاءت نسبة متوسط الاستجابة على المفردة: أشارك في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (٣,٦٣). أما عن اتجاههم نحو استخدام اللغة العربية في التعليم فقد بلغت نسبة متوسط الاستجابة على المفردة: "أرى ضرورة تعريب التعليم في الجامعة" (٣,٢٢)، "أفضل أن تكون اللغة الإنجليزية لغة التدريس الرئيسية بالجامعة" (٢,٤٨)، "أشارك في ترجمة بعض المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية" (٣,٥٦).

وهذا يوضح أن ١٠٠% من مفردات الجانب السلوكي في بُعد اللغة، جاءت في مستوى منخفض بالنسبة للباحثين المبتعثين للدراسة بالخارج، ولذلك يوصي الباحث بضرورة تعديل الاتجاهات السالبة لدى الطلاب قبل رفع مستوى تحصيلهم اللغوي.

(٣) - البعد الثالث: بعد القيم والعادات:

جدول (٦) المتوسط والمتوسط النسبي لمفردات بعد الهوية الوطنية

م	العبارات	درجة الموافقة					المتوسط	الوزن النسبي	المستوى
		أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	معارض	معارض بشدة			
٣	أشعر بالفخر لكوني مصرياً.	٤٨	٢٤	٣	٦	٠	٤,٤١	٠,٨٨	مرتفع
٦	أعمل على نشر الثقافة المصرية بما تتسم به من ميزات تمنحها خصوصية واضحة.	٤٢	٢٧	١٢	٠	٠	٤,٣٧	٠,٨٧	مرتفع
٩	أرفض بشدة الإساءة إلى وطني من أي شخص في الداخل أو الخارج.	٦٠	١٥	٣	٣	٠	٤,٦٣	٠,٩٢	مرتفع
١٢	أمتنع عن القيام بما يحقق مصالحتي الشخصية إذا كان ذلك يضر بمصلحة وطني.	٣٩	٣٦	٣	٣	٠	٤,٣٧	٠,٨٧	مرتفع
١٥	أشعر بالفخر عند رؤية العلم المصري يرفرف في المحافل الدولية.	٦٣	١٢	٦	٠	٠	٤,٧٠	٠,٩٤	مرتفع
١٨	أتحدث عن وطني معتزاً بأمجاده أمام الآخرين.	٤٥	٢٤	٦	٦	٠	٤,٣٣	٠,٨٦	مرتفع
٢١	أرى أن الدراسة بالخارج تعمل على تعميق التبعية للدول المتقدمة.	٣	١٨	٢١	٢٧	١٢	٢,٦٧	٠,٥٣	متوسط
٢٤	أرفض قرار حظر زواج عضو البعثة من أجنبية خلال مدة البعثة.	١٨	٢٧	١٨	٦	١٢	٢,٥٩	٠,٦٨	متوسط
٢٧	أدرك مكائتي باعتباري سفيراً لبلدي في بلد الابتعاث.	٥٧	١٨	٦	٠	٠	٤,٦٣	٠,٩٣	مرتفع
٣٠	أشعر بالحرية في الدولة المبتعث إليها مقارنة بما أشعر به في وطني.	٣٦	٣٠	١٢	٣	٠	١,٧٧	٠,٨٤	مرتفع
٣٣	لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً.	٣٦	١٥	١٨	١٢	٠	٣,٩٣	٠,٧٨	مرتفع
٣٦	يوجد تفوق حضاري مطلق للحضارة الغربية على الحضارات العربية الإسلامية.	١٨	٢٤	١٢	٢١	٦	٢,٦٦	٠,٦٦	متوسط
٣٩	تاريخ بلدي يشرفني أينما ذهبت.	٢٧	٣٦	٩	٩	٠	٤,٠٠	٠,٨٠	مرتفع
٤٢	صراع الحضارات يحتم علينا مواجهة كل الأفكار الوافدة.	١٨	٢٧	٦	١٨	١٢	٢,٧	٠,٦٥	متوسط
٤٣	أشعر أن كثيراً من العادات والتقاليد التي يتبعها المجتمع المصري قيود أود التخلص منها. -	١٥	٣٣	٣	٢٤	٦	٢,٦٦	٠,٥٣	متوسط
٤٤	أشعر بأن اتباع العرف والعادة ضرب من التخلف.	١٢	٢٤	١٢	٣٣	٠	٢,٨	٠,٥٦	متوسط
٤٥	أعاني من التصورات الخاطئة عن الثقافة العربية الإسلامية.	١٥	٤٢	١٢	٦	٦	٢,٣٣	٠,٤٦	منخفض
٤٦	أعتقد أن من علامات التقدم الحضاري أن ننسى كل عاداتنا المتوارثة.	٠	٣	٩	٣٦	٣٣	٤,٢٢	٠,٨٤	مرتفع
٤٧	أرغب في استكمال حياتي العلمية والعملية خارج الوطن في بلد الابتعاث.	١٢	١٥	١٥	٢٧	١٢	٣,١٤	٠,٦٣	متوسط

يلاحظ من جدول (٦) أن (١١) إحدى عشرة مفردة من أصل (١٩) تسع عشرة مفردة في بُعد القيم والعادات الاجتماعية قد جاءت أعلى من المتوسط (٣,٧٥) حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٩٣ : ٤,٧٠). وتجاوزت حد الكفاية المطلوب (٠,٧٥)، حيث تراوحت أوزانها النسبية ما بين (٠,٧٨ : ٠,٩٤). وهذه المفردات تمثل (٥٧,٩ %) من مجموع مفردات هذا البعد، وأن هناك مضامين (٧) سبع مفردات جاءت في مستوى الوعي المتوسط حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٠,٥٣ : ٠,٦٨)، في حين أن هناك مفردة واحدة كانت بدرجة أقل من المتوسط وجاءت قيمة متوسطاتها (٢,٣٣). وهذا يبين أن هناك انخفاضاً في بعض مؤشرات الوعي بمكون القيم والعادات الاجتماعية في (٨) ثماني مفردات تشكل (٤٢,١ %) من مفردات هذا البعد.

كما تشير نتائج التحليل الإحصائي الواردة بجدول (٦) إلى ارتفاع مستوى الوعي بالجانب الوجداني في مكون القيم خاصة قيم المواطنة، فقد تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٩٣ : ٤,٧٠)، فقد تجاوزت جميعها المتوسط (٣,٧٥)، وتدور هذه المفردات حول الفخر والاعتزاز بالوطن، والشعور بالانتماء ومن هذه المفردات: أشعر بالفخر عند رؤية العلم المصري يرفرف في المحافل الدولية (٤,٧٠)، أشعر بالفخر لكوني مصرياً (٤,٤١)، أتحدث عن وطني معتزلاً بأمجاده أمام الآخرين (٤,٣٣)، تاريخ بلدي يشرفني أينما ذهبت (٤,٠٠)، أرفض بشدة الإساءة إلى وطني من أي شخص في الداخل أو الخارج (٤,٦٣)، لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً (٣,٩٣)

وكذلك جاءت السلوكيات التي تبين الالتزام بقيم المواطنة بصورة مرتفعة، فقد تجاوزت حد الكفاية المطلوب (٧٥%)، ومن هذه السلوكيات: أمتنع عن القيام بما يحقق مصالح الشخصية إذا كان ذلك يضر بمصلحة وطني (٤,٣٧)، أدرك مكانتي باعتباري سفيراً لبلدي في بلد الابتعاث (٤,٦٣)، أربح في استكمال حياتي العلمية والعملية خارج الوطن في بلد الابتعاث (٣,١٤).

ينضح من هذه النتائج أن الباحثين المبتعثين بالخارج رفضوا قيامهم بما يحقق مصالحهم الشخصية إذا كان ذلك يضر بمصلحة الوطن، وكذلك رفضوا (على استحياء) استكمال حياتهم العلمية والعملية خارج الوطن.

إن الحصول على درجة علمية من دولة متقدمة بما تتضمنه من دراسة مواد علمية على درجة عالية من التقدم مطلب عام، إلا أن الحاصل على هذه الدرجة العلمية بعد عودته لبلده قد لا يستطيع تطبيق ما درسه، أو بمعنى آخر عدم استخدام ما درسه بكفاءة؛ مما ينتج عنه نوع من البطالة أو إصابة الحاصل على هذه الشهادة بنوع من الإحباط، مما يدفعه إلى الهجرة خارج بلده.

كما تشير نتائج التحليل الإحصائي إلى وجود اتجاه منخفض نحو قيم التقدم ذات المرجعية المصرية، فقد تراوحت متوسطاتها ما بين (٢,٤٤ : ٢,٧)، وهذا يعني انخفاضاً في مستوى الاتجاه نحو القيم الدافعة للتقدم ذات المرجعية المصرية، وتدور مضامين هذه المفردات حول: يوجد تفوق حضاري مطلق للحضارة الغربية على الحضارات العربية الإسلامية (٢,٦٦). صراع الحضارات يحتم علينا مواجهة كل الأفكار الوافدة (٢,٧). أعتقد أن من علامات التقدم الحضاري أن ننسى كل عاداتنا المتوارثة (٢,٤٤)، أرى أن الدراسة بالخارج تعمل على تعميق التبعية للدول المتقدمة (٢,٦٧).

وهذا يعد بمثابة مؤشر على تفضيلهم الالتزام بالقيم السائدة في المجتمعات الغربية عن الالتزام بالقيم السائدة بالمجتمع المصري، وربما يكون لقصور الوعي بالتحديات الحضارية دور في انجذاب الباحث المبتعث نحو مسيرته للأنماط السلوكية القيمية السائدة في المجتمعات الغربية، وقد يعد هذا التصرف نوعاً من التمرد على القيم السائدة بالمجتمع المصري.

بينما تم استخدام مؤشرين لقياس قيم الديمقراطية، وجاءت نتائجها أرفض قرار حظر زواج عضو البعثة من أجنبية خلال مدة البعثة (٢,٥٩)، أشعر بالحرية في الدولة المبتعث إليها مقارنة بما أشعر به في وطني (١,٧٧).

وهذا يدل على أن تعرض الباحثين المبتعثين للخارج إلى متغيرات ثقافية خارجة عن إطار الثقافة الأصلية، لم يؤثر على قيم المواطنة لديهم، ولكن حدث تغير في قيم الديمقراطية وقيم التقدم، وهذا يدل على تكيفهم مع المتغيرات الثقافية في أبعادها المعرفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدرجة عالية.

كما جاءت المفردات المتعلقة باتجاههم نحو العادات الاجتماعية، مثل: أشعر أن كثيراً من العادات والتقاليد التي يتبعها المجتمع المصري قيود أود التخلص منها (٢,٦٦)، أشعر بأن اتباع العرف والعادة ضرب من التخلف (٢,٨).

رابعاً - خلاصة نتائج البحث:

أسفرت نتائج البحث في صورتها العامة عن الآتي:

- ١- إن مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات الخارجية لم يصل إلى المستوى المقبول الذي تم اتخاذه معياراً في هذا البحث (٧٥%) فأعلى، وهو ما يساوي المتوسط (٣,٧٥) فأعلى، حيث كان المتوسط العام (٣,٥٦) والنسبة المئوية (٧١,٠%).
- ٢- إن ثمة (٢٣) مفردة من أصل (٤٦) مفردة في أداة هذا البحث، قد جاءت أعلى من المتوسط المقبول (٣,٧٥). وتشكل هذه المفردات ٥٠% من مجموع مفردات أداة البحث، وهذا يشير إلى أن ثمة تغييراً في الهوية الثقافية لدى طلاب البعثات العلمية.
- ٣- إن كل أبعاد الوعي بالهوية الثقافية (الدين - اللغة - القيم والعادات الاجتماعية) حصلت على قيمة متوسط أقل من ٣,٧٥ المناظرة للنسبة المقبولة (٧٥%)، وهذا يدل على أن مستوى الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات العلمية متوسطاً.
- ٤- وفيما يتعلق بالمقارنة بين أبعاد الوعي بالهوية الثقافية، يتبين أن بُعد الدين جاء في المرتبة الأولى بمتوسط (٣,٦٣)، يليه بعد القيم والعادات بمتوسط (٣,٥٤)، ثم جاء بُعد اللغة في المرتبة الأخيرة بمتوسط (٣,٥١)، ومن هذه المقارنة لا توجد فجوة كبيرة في مستوى الوعي بين الأبعاد الثلاثة لدى عينة البحث، ولكن ثمة فجوة بينهم في مفردات كل محور:

أ- فقد أظهرت النتائج فيما يتعلق ببعد الدين أن (٧) سبع مفردات من أصل (١٥) خمس عشرة مفردة تحطت المتوسط المقبول (٣,٧٥) ونسبة أكبر من (٧٥%)، حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٩٩ : ٤,٥٥)، وتشكل هذه المفردات نسبة ٤٦% من مفردات هذا البعد، وهذا يعني أن هناك تغيرات ثقافية طرأت على حوالي ٥٦% من مؤشرات الوعي بمقوم الدين باعتبارها أحد مقومات الهوية الثقافية.

ب- كما أظهرت النتائج فيما يتعلق بالبعد الثاني (اللغة) أن (٥) خمس مفردات من ١٣ مفردة بهذا البعد تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٨٥ : ٤,٤٨) وهي تناظر النسب ما بين

(٧٧% : ٨٩%)، مما يعني أن ٣٨% من مفردات هذا البعد فقط ، تجاوزت الحد المقبول من مستوى الوعي.

ج- وفيما يتعلق بمكون القيم والعادات ، أن (١١) مفردة من أصل (١٩) مفردة ؛ قد جاءت أعلى من المتوسط المقبول (٣,٧٥) ، حيث تراوحت متوسطاتها ما بين (٣,٩٣ : ٤,٧) المناظرة للنسب (٧٨% : ٩٤%). وهذه المفردات تشكل ٨٥% من مجموع مفردات هذا البعد.

خامساً - الآليات المقترحة لتنمية الوعي بالهوية الثقافية لدى طلاب البعثات الخارجية:

في ضوء النتائج التي تمّ التوصل إليها ، فإن الباحث يوصي بتنمية الوعي بالهوية الثقافية من خلال تقديم مجموعة من التوصيات الإجرائية على النحو التالي:

– آليات مرتبطة ببعده اللغة:

١ – تدويل النشر العلمي المحلي باللغة العربية، وذلك من خلال:

أ) إصدار مجلات علمية باللغة العربية ذات معامل تأثير مرتفع.

ب) تحفيز النشر العلمي بالعربية في الكليات العملية، مثل: الطب والعلوم والهندسة واحتسابه – وفق الشروط الخاصة – ضمن بحوث الترقية لأعضاء هيئات التدريس.

٢ – التصدي للتحديات التي تواجه اللغة العربية بوصفها لغة للبحث العلمي الذي يقوم على مفاهيم أنتجت في ثقافات أخرى، وبلغات أخرى، وذلك من خلال:

أ- تعريب التعليم الجامعي ، وذلك من خلال إنجاز عمليات التحديث العلمي والتربوي والمجتمعي باللغة الأم على غرار كثير من الدول المتطورة في الشرق والغرب، مثل الدول الاسكندنافية والبرازيل وكوريا واليابان وغيرها. وتعد هذه نماذج تؤكد أن اللغة الأم لا تتعارض مع التطور والتحديث فحسب، بل على أنها شرط هذه العملية، وهو ما أثبتته تجارب هذه الدول.

ب – تشجيع الترجمة من وإلى اللغة العربية، وذلك من خلال تخصيص جوائز لأحسن الترجمات الملتزمة باللغة العربية، والمشملة على اجتهادات متميزة لأصحابها في مجال صياغة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح المترجم.

ج- تكوين اتجاه إيجابي نحو اللغة العربية، والتركيز على أنه لو أن كل لغة اجتاز أهلها مرحلة تخلف تخلت عنها شعوبها لمصلحة لغات الدول المتقدمة، لكانت اللغة العربية ذاتها قد قضت على لغات القرون الوسطى، عندما كانت العربية هي لغة العلم.

٣- عدم التعويل على رجال الدين، أو أهل الأدب لإثراء اللغة العربية بالألفاظ العلمية الحديثة؛ لأن ذلك من مهام العلميين أنفسهم، ما يقتضي تحكم هؤلاء باللغة العربية؛ لأنهم بقدر ما يتحكمون بها يسهمون في إثرائها.

٤- إنشاء جوائز متنوعة لمجالات الإبداع بالعربية سواء في الدراسات الخاصة بها ، أم في الإبداع الأدبي بها في كل فنون الأدب.

٥- تشجيع المراكز والمعاهد والجامعات التي تعلم العربية حول العالم ودعمها بالخبرات والكتب اللازمة ، ويمكن الاستفادة في ذلك من المراكز التي تحقق نجاحًا ملحوظًا، مثل: مركز تعليم اللغة العربية للأجانب التابع لجامعة القاهرة.

٦- تضمين اجتياز اختبار للكفاءة في اللغة العربية ضمن مسوغات التعيين في وظيفة معيد أو مدرس مساعد بالكليات المختلفة.

٧- تضمين البرامج التي تقدمها مراكز تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات برنامجًا تدريبيًا في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يخصص للمعيدين والمدرسين المساعدين الذين يحصلون على فرصة الدراسة بالخارج.

٨- التأكيد على تعلم اللغة الإنجليزية والترجمة حتى نصل إلى درجة من التقدم تُعلي من شأن اللغة العربية على المستوى العالمي.

أليات مرتبطة ببعث الدين :

١- تصحيح الصورة المشوهة للثقافة العربية الإسلامية عبر العالم، والتركيز على المفاهيم المغلوطة السائدة في المناهج الدراسية حول العالم، ولعل من أهمها: الجهاد، والصورة السلبية عن المرأة العربية من خلال تعدد الزوجات، ميراث الذكر والأنثى، الحجاب وحكمة مشروعيتها في المحافظة على المرأة.

٢- إعداد كتيب للتصدي لعملية العداء للإسلام وتصحيح الأخطاء والصور النمطية الخاطئة التي تشوه العرب والمسلمين والإسلام في الكتب المدرسية الأوروبية وغير الأوروبية؛ لأن هذه الأخطاء تؤدي إلى مشاعر الكراهية بين الشعوب وإلى إشعال نار الحروب.

٣- تعاون أساتذة الجامعات العربية والأجنبية من خلال عمل الدراسات والأبحاث وتبادل وجهات النظر وتوصيل نتائج الأبحاث إلي المسؤولين لتنقية الثقافات والأديان من الشوائب العالقة بها.

٤- التركيز على المنظومة القيمية في علاقة الإسلام مع الغرب والقائمة على وحدة الأصل الإنساني ومنطلق التكريم الإلهي للإنسان (ولقد كرمنا بني آدم) الإسراء: ٧٠، وإحياء مبدأ التعارف (لتعارفوا) الحجرات: ٣١، وتعميق الإخوة الإنسانية وأشهد أن العباد كلهم إخوة، والتعامل بالبر والعدل مع المسالمين (أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة: ٨، والمجادلة والتي هي أحسن.

آليات مرتبطة ببعث القيم والعادات الاجتماعية:

- عمل دورات تدريبية للمبعوثين لتعريفهم بطبيعة البلاد المبعوثين إليها.
- عقد الندوات واللقاءات مع المبعوثين لتعريفهم بالتحديات الثقافية والمشكلات التي يمكن أن تقابلهم بالخارج، وكيفية مواجهتها والتغلب عليها.
- التأكيد على دور المستشارين الثقافيين واتحادات الدارسين في الخارج في تحقيق الربط بين المبعوثين وجامعتهم في الوطن خلال فترة البعثة أو مع الجامعات التي درسوا بها عقب انتهاء بعثتهم والعمل على سرعة عودتهم للوطن.
- تضمين الدورات التثقيفية للمبعوثين محاضرات عن تاريخ مصر ونظمها الاجتماعية والسياسية؛ لأنه يعد ممثلاً لبلاده وثقافته.
- حث إدارة رعاية المبعوثين على تزويد المكاتب والمراكز الثقافية بالمادة الترفيهية والعلمية والبرامج الثقافية والأفلام التسجيلية التي تربطهم بالوطن الأم.
- تنظيم ندوات في الدول موضوع الدراسة، وذلك بالتعاون مع اليونسكو وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ووزارة الخارجية المصرية والأيسيسكو والأليسكو والسفارات المصرية في الخارج والمكاتب الثقافية المصرية في الخارج واللجان الوطنية لليونسكو في مصر وفي الدول الأخرى.
- تطوير موقع قطاع الشؤون الثقافية والبعثات من حيث: مضمونه ومحتوياته والروابط الداخلية به، بحيث تربط المبعوثين بالدراسة للخارج بثقافة مجتمعهم.

- وضع سياسات للحفاظ على الباحثين المتميزين والحد من هجرة العقول المتميزة للخارج، وذلك من خلال توقيع برتوكولات مع الدول التي يتم إيفاد المبعوثين إليها يلزم المبعوث المصري بالعودة إلى وطنه فور انتهاء مدة البعثة وعدم إلحاقه بأي من الجامعات هناك إلا من خلال برتوكول تبادل علمي مماثل مع مصر.
- وضع خطة لجذب الأساتذة والباحثين الدوليين في المجالات العلمية والتكنولوجية لنقل خبراتهم وإجراء بحوثهم بالجامعات والمراكز البحثية.
- عقد مؤتمر سنوي أو دوري في كل دولة كبرى بها بعثات؛ لربط المبتعثين بوطنهم الأم.

أبحاث مقترحة:

- استكمالاً لنتائج البحث وتوصياته يقترح الباحث ما يلي:
- إجراء دراسات تحليلية لمناهج الدول الغربية والأوروبية لاستخلاص المفاهيم المغلوطة عن العرب والمسلمين.
- إجراء دراسة عن العائد الاجتماعي والاقتصادي للبعثات العلمية.
- إجراء دراسة عن العوامل المؤدية إلى امتناع المبعوثين للخارج عن العودة إلى الوطن.

المراجع:

- إبراهيم، فتحية محمد أحمد (٢٠٠٣): أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثربولوجية، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (١٥)، الآداب (١).
- ابن منظور (د.ت): لسان العرب، بيروت، دار صادر، الجزء (١٥).
- أبو زيد، أحمد (٢٠١٢): هوية الثقافة العربية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحمد، دينا عبد الحميد محمد (٢٠١٥): هجرة الكفاءات العلمية من مصر ١٩٥٤ - ١٩٨١، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- البلعكي، منير (٢٠٠١): المورد، ط٣٥، بيروت، دار العلم للملايين.
- التوحيدي، عبد العزيز بن عثمان (١٩٩٧): الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، في العولمة والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، مطبوعات أكاديمية.
- الجابري، محمد عابد (١٩٩٧). العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، ورقة قدمت إلى ندوة العرب والعولمة التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٨ - ٢٠ ديسمبر.
- الجابري، محمد عابد (٢٠١٢): مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية.
- الحري، مروان بن علي (٢٠١٣): التغير القيمي لدى العائدين من الابتعاث الخارجي في ضوء بعض المتغيرات النفسية والديموغرافية، مجلة ، عدد (١٥٥)، مجلد (١)، أكتوبر، ٤٠١ : ٤٤٩.
- الحسن، بدران بن مسعود (٢٠٠٠): الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد (٧٣).
- الحسون، عبد الله بن ناصر بن عبد الله (٢٠١٥): العوامل الثقافية وعلاقتها بالعادات الاجتماعية للعائدين من الابتعاث دراسة من وجهة نظر المبتعثين العائدين من الابتعاث بجامعة القصيم، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، المملكة العربية السعودية.
- الدسوقي، عاصم (٢٠٠٦): الشخصية وتعدد ملامح الهوية، مجلة الديمقراطية، تصدرها وكالة الأهرام، مجلد (٦)، عدد (٢٣)، يوليو، ٤٩ : ٥٣.
- الرافعي، عبد الرحمن (١٩٨٩): تاريخ الحركة القومية، الجزء الثالث، عصر محمد علي، القاهرة، دار المعارف.
- الشرقاوي، علي موسى (٢٠٠٤): الهوية الثقافية لطلاب كليات التربية في ضوء التحديات المعاصرة، مجلة كلية التربية بالزقازيق، العدد (٤٧).

العتيبي، محمد بن ماضي التوم (٢٠١١): اتجاهات الطلاب السعوديين الدارسين في الخارج نحو أثر الابتعاث في أمنهم الثقافي، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة.

العطوي، أحمد عيد (٢٠٠٨): التعليم والهوية الثقافية إلى أين..؟، المؤتمر العلمي العشرون، مناهج التعليم والهوية الثقافية، القاهرة، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المجلد الأول، ٢٤١: ٢١٦.

العوا، عادل (١٩٨٦): العمدة في فلسفة القيم، دمشق، طلاسدار للدراسات والترجمة والنشر.

القعيد، إبراهيم حمد (١٩٩٠): الابتعاث للخارج وقضايا الاتصال الحضاري، مجلة العلوم التربوية، جامعة الملك سعود، السعودية، مجلد (٢)، عدد (١)، ٢٦١: ٢٩٢.

الكركي، خالد (٢٠١٢): اللغة هوية الأمة، مؤتمر سبل النهوض باللغة العربية، الموسم الثقافي الثلاثون لمجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩: ٣٨.

المجلس القومي للسكان (٢٠١٤): تطور القيم الاجتماعية في تفاقم المشكلة السكانية في المرحلة التالية دراسة مقارنة للقيم السكانية في سياقات اجتماعية متباينة، القاهرة.

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (٢٠٠٨): المحددات الثقافية للزيادة السكانية، القاهرة، المجلس القومي للسكان، الإدارة العامة للبحوث والمعلومات، ص ص ٢٢: ٢٣.

المهدي، محمد عبد الفتاح (٢٠٠٢): سيكولوجية الدين والتدين، الإسكندرية، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع.

الميلاد، زكي (١٩٩٩): المسألة الحضارية .. كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.

النديم، عبد الله (٢٠١٦): بيم تقدم الأوربيون وتأخرنا؟، دراسة وتحقيق محمد عبادة، دار النشر للثقافة والعلوم.

باريك، بيكو (٢٠١٣): سياسة جديدة للهوية المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، ترجمة حسن محمد فتحي، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

بترسون، تورليف (٢٠١٠): المهاجرون المسلمون في أوروبا الغربية: استمرار الاختلاف أو التكيف الثقافي؟ في: مسح القيم العالمي: القيم كما تدركها جماهير العالم الإسلامي والشرق الوسط، تحرير منصور معدل، ترجمة عبد الحميد عبد اللطيف، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

بدوي، أحمد زكي (١٩٨٢): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.

برغسون، هنري (٢٠٠٩): بحث في المعطيات المباشرة للوعي، ترجمة حسين الزاوي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة

برغوث، عبد العزيز (٢٠٠٦): القيم الحضارية في الإسلام وضرورة تجديد الوعي الدعوي الحضاري، مجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء، اليمن، عدد (٢٩).

بويكر، جيلالي (٢٠١٦): الهوية والعولمة، أعمال الندوة الفلسفية السادسة والعشرون التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بمكتبة الاسكندرية والمعهد السويدي، الهوية والاختلاف، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.

جانكوفسكي، ج.، وجرشوني، أ. (٢٠١٣): هوية مصر بين العرب والإسلام، ترجمة بدر الرفاعي، وزارة الثقافة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جبرون، امحمد (٢٠١٣) : انشقاق الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي، مجموعة مؤلفين (محررين): اللغة والهوية في الوطن العربي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

الجزار، هاني (٢٠١١): أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب، الجيزة، هلا للنشر والتوزيع، ٢٣.

حلمي، مصطفى (٢٠٠١): حضارة العصر .. الوجه الآخر مع مقال كيف نصون الهوية الإسلامية في عصر العولمة، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

خليفة، عبد القادر حسن، عبد الله، رقية محمد (٢٠٠٢): دور التعليم في تغييب الوعي السياسي: دراسة حالة، مجلة مستقبل التربية العربية، يصدرها المركز العربي للتعليم والتنمية، مجلد (٨)، عدد (٢٦)، يوليو.

ربيع، حسنين محمد (٢٠٠٩): اللغة: هوية وانتماء، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجلد (١١٥)، مايو، جمادى الأولى، ١٨٩: ٢٠٦.

ريكور، بول (٢٠٠٥): الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق جورد زينات، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

زقزوق، محمود حمدي (٢٠١٦): الفكر الديني وقضايا العصر، القاهرة، دار القدس العربي.

سليمان، محمد أحمد علي (٢٠١٣): الأمن التربوي ودوره في الحفاظ على الهوية وتحقيق الأمن الشامل، ورقة علمية مقدمة للندوة العلمية "الأمن ودور الجامعات في تعزيزه، القاهرة، مركز الدراسات والبحوث.

شاكر، محمود محمد (٢٠٠٩): رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
صالح، سامية يوسف (٢٠٠٠): في مواجهة العولمة: إعداد المري للقيام بهذا الدور، مجلة التربية والتنمية، السنة الثامنة، عدد (٢١)، ديسمبر.

صن ، أمارتيا (٢٠٠٨) : الهوية والعنف، ترجمة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٣٥٢)، سلسلة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، يونيو.

عبد الرزاق، أحمد محمد جاد (١٩٩٥): فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

عبد الصمد، فضل إبراهيم (٢٠٠٥): الوعي بتحديات العولمة في علاقته بالولاء وفوبيا المسؤولية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد (٢)، المجلد الحادي والعشرون، يوليو. عبد العال، راوي، وهيريرا، يوشيكو، وجونستون، ألاستير إيان، ومكديرميت، روز (٢٠١٤): قياس الهوية دليل للمتخصصين في العلوم الاجتماعية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

عبد القادر، محسن مصطفى محمد (٢٠١٣): التربية العلمية والوعي بالهوية، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع.

عبد الكريم، أحمد عزت (د.ت): تاريخ التعليم في مصر، عصر إسماعيل، المجلد الثاني.

عماد، عبد الغني (٢٠١٧): سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير.

عمارة، محمد (١٩٩٩): مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، في التنوير الإسلامي (٣٢)، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عمارة، محمد (٢٠١٤): إشكالية الهوية في الدستور، مجلة الديمقراطية، وكالة الأهرام، السنة الرابعة عشرة، عدد (٥٢)، يناير.

غدنز، أنتوني (٢٠٠٥): علم الاجتماع، الطبعة الرابعة، ترجمة فايز الصياغ، عمان، الأردن، المنظمة العربية للترجمة.

خضر، لطيفة إبراهيم (٢٠٠٠): دور التعليم في تعزيز الانتماء . القاهرة: عالم الكتب.

مجمع اللغة العربية (١٩٩٤): المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

مجموعة مؤلفين (٢٠٠٣): صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، الرياض، وزارة التربية والتعليم، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الناشر مجلة المعرفة، كتاب المعرفة (١٢) .

محمود، محمد فاروق حمدي (٢٠١٢): الهوية ولغة التعليم في البلدان العربية: جمهورية مصر العربية نموذجًا، مجلة كلية التربية، تصدرها كلية التربية جامعة أسيوط، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، يوليو.

معلوف، أمين (١٩٩٩): هويات قاتلة : قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، دمشق، دار الحصاد للطباعة والنشر.

ناصر، إبراهيم عبد الله (١٩٨١): أثر الثقافة الغربية على خريجي جامعات أوربا وأمريكا من الأردنيين بعد عودتهم للأردن دراسة مقارنة، مجلة التوثيق التربوي لدول الخليج العربية بالسعودية، السنة الثانية، العدد الثالث، ٣١ : ٤٦ .

نصري، هاني يحيى(١٩٩٨): الفكر والوعي بين الجهل والوهم والجمال والحرية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

هارلمبس وهلبورن(٢٠١٠): سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق، سورية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

هانوم، كيلي م. (٢٠٠٩): الهوية الاجتماعية: معرفة الذات وقيادة الآخرين، نقله إلى العربية خالد بن عبد الرحمن العوض، الرياض، مكتبة العبيكان.

هايدغر، مارتن(٢٠١٥): الهوية والاختلاف مبدأ الهوية، ترجمة محمد مزيان، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بقطر، مجلد (١٤)، عدد (١٤).

الودغيري، عبد العلي (٢٠٠٠): اللغة والدين والهوية، بلد النشر الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص ٦٨.

وزارة الصناعة والتجارة والمشروعات الصغيرة والمتوسطة(٢٠١٥): قانون تنظيم الجامعات الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢ ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٨٠٩ لسنة ١٩٧٥ وفقاً لآخر تعديلات، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مادة (١)، ص ٢.

المراجع الأجنبية:

Josheph, J.E.(2004): Language and Identity National, Ethnic, Religious, New York, PALGRAVE MACMILLAN.

Li ,Yabo. Cultural Identity in Intercultural Communication. Social Sciences. Vol. 4, No. 2, 2015, pp. 23-26.

English Collins Dictionary online (5th ed.). (2000). Retrieved from <http://dictionary.reverso.net/english-definition/identity%20papers>, [Accessed 25 March 2018].

Parekh, B. (2008). A new politics of identity: political principles for an interdependent world. New York: Palgrave Macmillan.

Parry, J. (2002, February). EU citizenship in an inter-cultural union. Speech presented at a seminar organized by the Europe House Zagreb. Retrieved from <http://www.federalunion.org.uk/eu-citizenship-in-aninter-cultural-union/> [Accessed 22 october 2017].

Dijkstra, Steven, Geuijen, Karin and de Ruijter, Arie (2001) “Multiculturalism and Social Integration in Europe” *International Political Science Review*, Vol 22, no 1 .

Dasen, P. (2000). Rapid social change and the turmoil of adolescence: A cross-cultural perspective. *International Journal of Group Tensions*, 29, 17–49.

Enduring voices: Documenting the planet’s endangered languages. (2008). Retrieved February 2, 2007, from National Geographic Web site: <http://www.nationalgeographic.com/mission/enduringvoices/>

Jensen, L. A., & Arnett, J. & McKenzie, J. (2011). Globalization and Cultural Identity. In S.J. Schwartz et al. (eds.), *Handbook of Identity Theory and Research*, New York: Springer Science.

Castells, M 2004. *The power of identity*, Blackwell Publishers, Oxford, England (Revised Edition)

Zou, H. (2012). Language Identity and Cultural Difference, *International Journal of Social Science and Humanity*, Vol. 2, No. 6, November.